الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٧٢ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 172 — Lundi - 19 - 10 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ـــــ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٧٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ شعبان سنة ١٣٥٥ — ١٩ أكتوبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

صفحة
١٦٨١ اليوم المشهود ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٦٨٣ الجمهور ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٦٨٥ انقذوا تراث الأندلس : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...
١٦٨٧ الجانب الصوفى في الفلسفة الاسلامية : الدكتور ابراهيم بيومى مدكور
١٦٩٠ الطبيعة فى الأدبين العربى والانجليزى : الأستاذ فخرى أبو السعود ...
١٦٩٣ فى الخطابة ... ... : الأستاذ عبد المجيد نافع ...
١٦٩٦ الثمرة الأولى لثورة فلسطين : الأستاذ قدرى حافظ طوقان
١٦٩٧ نهضة المرأة المصرية ... : الآنسة أمينة والأستاذ فارس
١٧٠١ نبوة المتنبي أيضاً ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
١٧٠٥ النظرية العامة للالتزامات فى الشريعة الاسلامية : الدكتور شفيق شحاته ... ...
١٧٠٨ الجوائز الأدبية ومغزاها : ابراهيم ابراهيم يوسف ... ...
١٧١٠ تعزية باطلة (قصيدة) : الأستاذ خليل هنداوى ...
١٧١٠ زهرة القطن « : أحمد فتحى مرسى ... ...
١٧١١ صديقة الطلبة (قصة) : لألفريد دى موسيه ... ترجمة مظفر البقاعى ... ...
١٧١٦ كتاب عن الحبشة للجنرال فرجين ... ...
١٧١٦ حول مقالات الأستاذ كراتشقوفسكى ... ...
١٧١٧ ذكرى الموسيقى بروكنر ... ...
١٧١٧ تبادل المؤلفات بين البلاد العربية . هرمان فندل ... ...
١٧١٧ تاريخ العرب الأدبى للأستاذ نيكلسون ... ...
١٨١٨ تاريخ الفلسفة اليونانية (كتاب) : الدكتور ابراهيم مدكور

اليـــوم المشهود...

ذلك يوم الأوبة ! وأوبة الزعيم العظيم عنوان من النور على فصل جليل الخطر بارز الأثر من تاريخنا الجديد : تجمعت فى هذه الأوبة أشتات من المعانى والمنى ، فكان يومها الأغر مظاهرة شعبية هاتفة ، جلجل فيها صوت الحق ، واستعلى بها شأن الأمة ، واستعلن فيها مجد الوطن ؛ وكأنما انبثقت فى النفوس لأول مرة مشاعر المصرية والحمية والعزة ، فكل امرئ يحس بوجوده المستقل ، ويزهى بسلطانه القادر ، ويفخر بارادته الحاكمة

احتفل حشد الناس يوم الثلاثاء على حواشى الميناء وفوق متون الماء لاستقبال الرئيس الجليل على (كوثر) ، وقد عاد إلى وطنه الشاكر الذاكر بتحقيق المسعى وتصديق الأمل ؛ فكان هذا الاستقبال النادر مشرق الدلالة على معناه : نمّ بهزة السرور عن لذة النصر ، وبهشاشة الوجوه عن جمال الشكر ، وبحماسة الهتاف عن وجهة الرأى . وكانت الاسكندرية فى ذلك اليوم صورة منسقة الألوان مهذبة الأطراف منمنمة الخطوط للقطر كله ؛ تمثلت فيها من أعلى الجنوب إلى أسفل الشمال وجوه البلد ،

وأنماط الزى ، ونوازع الهوى ، ومرامى النظر ؛ فالأندية والمقاهى والمطاعم والفنادق والطرقات والمركبات سيول متدافعة من فنون القول ، ولكنها لا تخرج فى عنصرها وجوهرها عن تفنيد المعارضة وتأييد المعاهدة وتمجيد الزعيم

لا أكذبُ الله ، كانت الحجج كثيراً ما تسقط إعياء فى حَلْبة الجدل ، ولكن تهافتها كان يرجع إلى ضعف المدافع لا إلى ضعف القضية ؛ وكان الغالب على منطق السواد من وفود البلاد الايمان الثابت برأى الوفد ، أو الاذعان المريح لحكم الواقع . فهم يقولون مالنا ولجدال المحامين بمواد القوانين وآراء العلماء ونصوص الكتب ؟ إن الوفد لم نجرب عليه تدليسا فى رأى ، ولا تفريطاً فى حق ، ولا توريطاً فى باطل ، وقد مضى فى ضمان الوحدة والخبرة ففاوض ، واطمأن على سلامة الحق والعدالة فعاهد ؛ فاذا قال لنا هذا هو الاستقلال الذى استنفدتم إليه الجهود والوسائل ، وأرخصتم فيه الأموال والمهج ، كنا أحرياء أن نقبل عليه بالسمع ، ونخلد إليه بالثقة . ثم تبلغ الثقة الراجحة حد اليقين المحض إذا عارض هذا القول من نستريب بسياسته ونستوحش من ناحيته . كذلك يقولون إذا أخرجهم نشاط الحديث من التسليم الأعمى إلى التدليل البصير : لا جدال فى أن للمعاهدة محت الاحتلال وأثبتت الاستقلال وفتحت السودان ، وحطت عن كاهلك امتياز الأجنبى ، وأذهبت عن ضميرك رجس الهون ، وجعلتك مطلق السيادة حر الارادة تحت سمائك وفوق أرضك ؛ فاذا توخينا وجوه الاصلاح الداخلى ونحن على هذه الحال الجديدة من حرية الرأى والعزيمة والعمل ، وبذلنا فى سبيله ما كنا نبذل فى سبيل الاستقلال من نقود وجهود وتضحية وزمن ، جرينا من سُبل التقدم إلى أبعد الغايات فى أيسر كلفة وأقصر مدة

***

كان اسم النحاس ولفظ المعاهدة هتافَ المظاهرات وموضوع الخطب وحديث الأندية فى الاسكندرية ، ذلك لأنهما كلمتان استوعبتا أحفل المواقف وأنبل العواطف وأجمل الذكريات من جهادنا المجيد . فالنحاس اسم يشمل الزعامة والوطنية والوفد ، ويتضمن أسماء عرابى ومصطفى وسعد ، ثم يستغرق كذلك أسماء مكرم والنقراشى وماهر ؛ والمعاهدة لفظ يتناول مدلوله أهوال الثورة التى بذرتها ، ودماء الشباب التى أسقتها ، وأشلاء الضحايا التى غذتها ، وجهود الابطال التى تعهدتها ثم جنتها ؛ ثم يشمل كذلك ما قر فى أذهاننا من معانى الحرية ، وشاع فى نفوسنا من مشاعر المجد ، وحصل فى أيدينا من وسائل السيادة ، وامتد فى خيالنا من حدود الأمل

ما أجمل الاسكندرية اليوم ! لقد أصبحت خالصة المصرية حتى فى الطبيعة والمظهر ! الجو راكد الريح زاهق الأنفاس كأنه طلعة المختنق ، والبحر راقد الموج مصقول الأديم كأنه صفحة المرآة ؛ فلا العباب زاخر يبعث الروعة فى القلب الشاعر ، ولا النسيم نَدِىٌّ ينضح بالنعيم الجسد المحرور ؛ ومع ذلك نراها أقرب ما كانت إلى القلب ، وأروع ما تكون فى النفس ! لقد ذوب هذا اليوم عنصرها الدخيل كما تذوب حبات الملح فى لجج الفرات العذب . لم يبق إلا مواكب الأهلين تشدو بأهازيج النصر ، ووفود الأعيان تناقل أحاديث الوطنية ، وكتائب الوفديين تنشد أغانى الحماسة ، وخطباء المحتفلين يرسلون على أمواج الأثير عواطف مصر الشابة إلى الجهات الأربع

***

تجددت مظاهر النصر والشكر والتأييد والفرح فى سُوح القاهرة ، فكان يوم السبت فى مدينة المعز أبهر جلالا وأروع استقبالا من يوم الثلاثاء فى مدينة الاسكندر ! ذكرنا به أيام سعد ! وأيام سعد خوالد يتحدين النسيان ويعاجزن البلى ، وقد كن لهذه الأيام السعيدة شروقا وبكرة

سننعم بأصائل هذه الأيام حيناً من الدهر يقصر أو يطول ، ولكن شمسها ستدخل فى ملكوت الخيال وعالم الذكرى ، ثم لا يبقى فى أيدينا من ثمارها غير المعاهدة . والمعاهدة وثيقة الاستقلال فى القانون ، ولكنها ورقة الامتحان فى العمل . ولا ريب أن الذين عرفوا كيف يحررونها ، سيعرفون كيف ينفذونها . ومن عمل واليد شلاء ، وبلغ والطريق غفلاء ، فهل نخشى عليه والسبيل واضحة ، والغاية لائحة ، والساعد حر والساق طليق ؟

احمد حسن الزيات

الجمهـــــور

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وقال صاحب سر (م) باشا : كان من بعض عملى فى الحكومة سنة ١٩٢٢ أن أراقبَ الحركاتِ والسكنات ، وأبثَّ العيون والأرصادَ ، وأعرفَ المضطرِب والمنقلَب فى أيام الفتن ونوازل المحنة ، محافظةً على الأمن ومبادرةً لما يُتوقَّع ؛ فكنت كالمرصدِ المهيَّأ بآلاته لتدوين حركات الزلازل

وانتهى إلينا يوماً أن راجفةً من هـذه الزلازل سترجُفُ بفلان من أهل الرأى الحر الذى يستقلُّ ولا يُتابع ، وينتقد ولا يحابى ، ويصرِّح ولا يُجَمْجِمُ ، وأن قوماً ثوَّروا عليه الغبارَ الأدمىَّ من العامة وأشباهِ العامة ، وأنهم يتحيَّنون الوقت لتوجيهِ المكيدة له فى شكلها المفترس من هذا الجمهور الناقم

أما فلان هذا فرجلٌ سياسى عنيد أضاع الحقَّ كلَّه لأنه لا يرضى بنصف الحق ... وكلمته فى السياسة كأنما تلقى على لسانه من الغيب فلا يتحول عنها ولا يملك أن يتكلم بما يتكلم ؛ وقد ذهب بصوته أنه فى قوم لا يسمعون إلا ما أرادوا ، فهو بينهم كالحق المغلوب لا يموت لأنه غير باطل ، ولا يحيا لأنه لا ينتصر . وقد كان رجلاً كالمصباح الوهَّاج فألقوا عليه الغطاء فاذا هو فى طبيعته ويبـدو للناس بغير طبيعته ، وتركه رأيه الحرُّ الصريح كالنبى المكذَّب يُردُّ عليه صدقُه لا لأنه غير صدق ولكن لأنه غير مستطاع أو غيرُ ملائم

ومن آفاتنا نحن الشرقيين أننا نستمرىءُ العداوةَ وننقادُ لأسبابها وتتطاوعُ لها تطاوُعَ الصغار بأنفسهم لما فى أنفسهم ، كأن المستبدين الذين كانوا فى تاريخنا قد انتقلوا إلى طبائعنا ؛ فردُّ الفكر على الفكر فى مناقشةٍ تجرى بيننا — لا يكون من دفع الحقيقة للحقيقة ، ولكن من رد الاستبداد على الاستبداد ومن توثُّب الطغيان على الطغيان ؛ فهو الثَّلبُ والطعنُ والتجريح ، وهو الجفوة والخصومةُ واللَّدَد ، وهو المنازعةُ والعنفُ والتحامل ؛ وهو بهذه وتلك شرٌّ وفسادٌ وسقوط . والجدال بين العقلاء يمث الفكر فينتهى إلى الحق ، ولكنه فينا نحن يهيج الخلق فينتهى إلى الشر ، والردُّ على عظيم منا كأنه ردٌّ على منزلته فى الناس لا على منزلته فى الرأى ، وكشف الخطأ عندنا تعبيرٌ بالخطأ لا تبصيرٌ بالصواب ، واستلابُ الحجة من صاحبها وإفسادُها عليه كاستلاب الملك من مالكه وطرده منه ..

ومن ثمَّ كان الدفاع بالمكابرة أصلاً من أصول الطبيعة فينا ، وكان الاضطهادُ حجةً للحجة العاجزة ، وكان الاعنات دليلاً للدليل الذى لا ينهض بنفسه ، ومتى اعتبر كلُّ إنسانٍ نفسه أمبراطوراً على الحق ... فلا جرمَ لا تردُّ كلمةٌ على كلمة إلا بحرب

***

قال صاحب السر : وكبرَ الأمر على الباشا فجمع رؤوسَ المؤتمِرين بذلك الرجل الحر ، وأخذ يقلّبهم تقليبَه بين التودد والملاطفة ، وقال لهم فيما قال : إن فضيلة الجمهور هى التى تضمن تربية الفضيلة وحفظَها وغلبتَها على الرذائل ، وان كل صحيح يكون فاسدا إذا لم يكن الجمهور صحيحاً ، وإن غير العقلاء هم الذين يقبلون الحقيقة فى يوم ثم يرفضونها هى ذاتها فى يوم آخر ، فإن ذهبتَ تجادلهم وتحتجُّ عليهم بأنهم قبلوها — قالوا : هذا كان أمس ... فكأنما الفاصل بين زمنين يجعل الشىءَ الواحد ضدين

ثم سألهم : ما هو ذنبُ الرجل ؟ فقال منهم قائل : إنه خارج علينا فى الرأى . فقال الباشا : إن المعنى فى أنه يخالفكم هو أنكم أنتم تخالفونه ؛ فقد تكافأت الناحيتان ، وخلافٌ بخلاف ؛ فما الذى جعل لكم حقَّ رده عن الرأى دون أن يكون له مثل هذا الحق فى ردكم أنتم ؟ قالوا : إننا الكثرة . قال الباشا : يا أصدقائى إن خوف الكثرة من رأى فرد أو أفراد هو أسوأ المعنيَين فى تفسير رأيها هى ؛ وعشرة جنيهات لا تعبأ بالجنيه الواحد فانها تستغرقه ، بيد أن هذه ليست حالَ عشرة قروش يا أصدقائى . .

نعم إن قطعَ الخلاف ضرورةٌ من ضرورات الوطنية ، ولكن إذا كان الأمر فى ظاهره وباطنه كالخلاف فى أيهما أطول : العصا أو المئذنة . . ؟ فذلك جدال محسومٌ من نفسه بلا جدال

إن أساس انخذالنا نحن الشرقيين فى قلوبنا إذ لا نعتبر المعانىَ العامة إلا من جهة أنها قائمةٌ بالرجال ، ثم لا نعتبر الرجالَ إلا من ناحية ما فى أنفسنا منهم ، ثم لا نعتبر أنفسَنا إلا من جهة ما يُرضينا أو يغضبنا ، وقد لا يغضبنا إلا الحق والجِد ، وقد

لا يرضينا إلا الباطل والتهاون ، ولكنا لا نبالى إلا ما ترضى وما نغضب

لستم أحراراً فى أن تجعلوا غيركم غير حر ، فان يكن الرأى الذى يعارضكم رأياً حقاً وتركتم منا بذته فقد نصرتم الحق ؛ وإن يكن باطلا فاظهاره باطلا هو برهان الحق الذى أنتم عليه ؛ ولن تجردوا أحدا من اختيار الرأى إلا إذا تجردتم أنتم من اختيار العدل ، فان فعلتم فهذه كبرياء ظالمة ، تدعى أنها الحق ثم تدعى لنفسها حكمه ، فقد كذبت مرتين

اسمعوا أيها السادة : قامت بين اثنين من فلاسفة الرأى مناظرة فى صحيفة من الصحف وتساجلا فى مقالات عدة ، فلما عجز أضعفهما حجة وكممه الجدال ، كتب مقالته الأخيرة فجاءت سقيمة ، فلم ترضه فبيتها ونام عنها على أن يرسلها من الغداة بعد أن يردد نظره فيها ويصحح آراءه بالحجج التى يفتح بها عليه . قالوا : فلما نام تمثلت له المقالة فى أحلامه جسما حيا موهونا مترضضا ، مخلوعا من هنا مكسورا من هناك ، مجروحا مما بينهما ؛ ثم كلمته فقالت له : ويحك أيها الأبله . إن أردت أن تغلب صاحبك وتسكته عنك فاحمل مقالتك إلى رأسه فى العصا لا فى الجريدة . . .

* * *

قال صاحب السر : وضحك القوم جميعاً وأذعنوا وانصرفوا مقتنعين قد خلصت دخلتهم لذلك الرجل الحر وتفصلوا من جريمة كانت فى أيديهم ، وما جاء الباشا بمعجز من القول ولكن تصويره للمسألة كان حلا لها فى نفوسهم . فلما أدبروا تنفس الباشا كأنما خرج من البحر وكان يتعاطى إنقاذ غريق ويعانى فيه حتى نجا ؛ ثم قال لى : إن هذا كان جوابا عن شىء فى أنفسهم ولكنه هو سؤال عن شىء فى أنفسنا : ما الذى يجعل الناس عندنا يخشون المعارضة فى الرأى الوطنى حتى إنهم ليجازون عليها بهذه العقوبة الشعبية المنكرة ، وما بالهم لا يعطون الرأى حكمه وحقيقته بل يعطونه من حكم أنفسهم وحقائقها وشهواتها المتقلبة حتى لترجع الفروق الضعيفة المتجانسة فى أبناء الوطن الواحد — وكأنها من الخلاف والمباينة فروق جنسية كالتى تكون بين إنسان من أمة وإنسان من أمة أخرى تعاديها به

قلت : إن رأى الكثرة قانون يا باشا

قال : هذا صحيح ولكن بشرطين لا بشرط واحد : الأول ألا يخرج الرأى على القانون ، والثانى ألا تكون الحقيقة فى الرأى الذى يناقضه ؛ ومحاولة إكراه المعارضة نقض للشرطين معا(1) . ثم إن أساس الوطنية سلامة القلوب وصفاء النيات واستواء الموافق والمخالف فى هذا الحكم ؛ ومتى وقع الخلاف بين اثنين وكانت النية صادقة مخلصة لم يكن اختلافهما إلا من تنوع الرأى ، وانتهيا إلى الاتفاق بغلبة أقوى الرأيين ما من ذلك بد

الحقيقة يابنى أن الجماهير الشرقية ليست فى تربيتها من الجماهير السياسية التى يعتد بها إذ لا تزال فى أول عمرها السياسى وبهذا السبب وحده كان اختلاف الكبراء فى السياسة لا يشبهه إلا نزاع الخصمين بغير شهود ولا قاض نافذ الحكم ، فهو نزاع قوة تفوز بوسائلها لا نزاع حق يستعلى بأدلته

وهذه المجالس النيابية الشرقية كلها صور ممثلة جافة منقطعة النماء من أسبابها كالفرع المقطوع من الشجرة ، وإنما يتنفس الفرع ويثمر أثماره إذا قام بشجرته لا بنفسه ، وما شجرة الفرع السياسى إلا الجمهور السياسى

فسبيل الاصلاح فى كل مملكة شرقية أن ينهض أهل الرأى من كل مدينة فيها بين عالم وأديب ومحام وسرى ومن كان بسبيل من هؤلاء ، فيجعلوا لمدينتهم دار ندوة للاجتماع والبحث والمشورة وقول (نعم) بالحجة وقول (لا) بالحجة . ثم يعلنون ذلك فى جمهورهم وينزلون منه منزلة الأستاذ والأب والصديق فى تعليمه وهدايته وإرشاده ؛ وتتصل هذه الدور فى كل مملكة بعضها ببعض وتنتهى بالمجالس النيابية . وبغير ذلك لا يملأ الفراغ الذى نراه خاويا بين الشعب والحكومة وبين الكبراء والجماهير ، وإنما أكثر مصائبنا من هذا الفراغ فهو الذى يضيع فيه ما يضيع فيه ويختفى ما يختفى

منا قوم موظفون فى الحكومة ؛ ولكن أين القوم الذين تكون الحكومة نفسها موظفة عندهم ؟

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

(اعتذار) بهذا المقال انتهت أحاديث الباشا فقد أنبأنا صاحب السر أنه سيكتم السر . . . .

(1) لاينس القارئ أن هذا كان سنة ١٩٢٢

انقذوا تراث الأندلس

واجب الأمم العربية والاسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

قرأنا فى الأنباء الأخيرة أن مندوب بوليفيا (من جمهوريات أمريكا الجنوبية) لدى عصبة الأمم قد أثار أمام إحدى لجان العصبة مسألة الآثار الفنية فى اسبانيا وما يهددها من الأخطار من جراء الحرب الأهلية الطاحنة التى تجتاح اسبانيا من أقصاها إلى أقصاها، وطلب أن تعمل العصبة لحماية هذه الذخائر الفنية ولا سيما فى الأماكن التى تهددها ويلات الحرب

ونحن نعرف أن عصبة الأمم لا تملك وسيلة للتدخل الفعلى فى المأساة الاسبانية، ولا تستطيع مع الأسف أن تعمل شيئاً لحماية الآثار الفنية فى اسبانيا

بيد أن لهذه الصيحة الكريمة التى يرسلها مندوب بوليفيا قيمتها وأهميتها فى تذكير العالم المتمدن بأن فى اسبانيا تراثاً فنياً بديعاً هو اليوم رهين القدر، ووشيك التبدد والفناء، إذا لم تتداركه يد الحماية والغوث

وهذه صيحة يجدر بنا أن نرددها. ذلك أن بين هذا التراث الذى تحدق به الأخطار من كل صوب بقية نفيسة من تراث الاسلام فى اسبانيا: هنالك فى غرناطة الحمراء وجنة العريف وأبهاؤهما ونقوشهما الرائعة، وهنالك فى أشبيلية قصر بنى عباد، وبرج «الجيرالدا»، وهنالك فى قرطبة مسجدها الأموى الجامع الذى ما زال رغم تحويله إلى كنيسة من أروع الآثار الاسلامية، وهنالك تراث الاسلام الفكرى فى قصر الأسكوريال؛ وهنالك آثار ونقوش اسلامية كثيرة فى معظم المتاحف والمدن الاسبانية؛ وكلها مما يلقى أعظم ضياء على تاريخ اسبانيا المسلمة وحضارتها فى أزهر وأمجد عصورها (١)

ولقد كنا أول من أرسل هذه الصيحة منذ بدء الحرب الأهلية الاسبانية، إذ كنا يومئذ على مقربة من اسبانيا مسرح المأساة، وقرأنا فيما قرأنا من أنبائها أن طيارات حكومة مدريد قد ضربت مدينة غرناطة بالقنابل (وغرناطة ومعظم قواعد الأندلس الأخرى ما زالت بيد الثوار)، وأن قنابل قد سقطت على قصر الحمراء فأتلفت بعض جدرانه، فأثار هذا النبأ فى نفوسنا شجناً وأسى، وكتبنا يومئذ نلفت نظر العالم المتمدن، ونظر العالم الاسلامى خاصة الى ذلك الخطر الداهم الذى يهدد تراث الاسلام فى أسبانيا

وهذه مأساة القصر (الكاثار) المروعة بجوار طليطلة، وقد خرب فيها حصن القصر القديم الذى يرجع معظم بنائه الى العصر الاسلامى

وفى الأنباء الأخيرة أيضاً أن زعماء الثورة رأوا أن يجتذبوا ولاء الجنود المغاربة وأن يثيروا حماستهم بأن يسمحوا لهم باقامة الصلاة فى جامع قرطبة الكبير الذى هو اليوم كنيسة جامعة؛ ونحن نغتبط إذ يستطيع المسلمون أن يؤدوا شعائرهم فى ذلك المسجد الجامع القديم الذى هو أبدع آثار الدولة الأموية فى الأندلس؛ ولكننا نخشى أن تؤدى الفوضى العسكرية فى مثل هذه الظروف الى تشويه هذا الأثر الاسلامى الخالد أو تخريبه

والآن يزحف الثوار على مدريد ويطوقونها من الشمال والجنوب والغرب؛ وتضطرم حول العاصمة الاسبانية وفى سمائها حرب طاحنة لا يقف المتحاربون فيها عند شىء ولا يفرون شيئاً؛ وفى مدريد متحف يضم كثيراً من الآثار والنقوش الاسلامية؛ وعلى مقربة من مدريد تقع ضاحية الاسكوريال، وفيها الدير المسمى بهذا الاسم والقصر الملحق به الذى يضم المكتبة العربية الشهيرة؛ فالآن وهذه المعارك الطاحنة تدور حول مدريد بين جيوش الحكومة وجيوش الثورة، ماذا يكون مصير الاسكوريال ومصير الآثار والكتب العربية؟ هذا سؤال نردده جزعين خصوصاً بعد الذى رأينا من روعة هذه الحرب التى تجتاح فى طريقها كل شىء ولا تقف عند أى اعتبار انسانى

لقد عملت اسبانيا النصرانية فى إبان غلوائها وتعصبها على تبديد معظم تراث الاسلام، وكانت يوم مصرع الأندلس، ويوم كانت لا تزال تضطرم بروح العصور الوسطى، تعتبر هذا التراث رجساً يجب أن يمحى من أرضها ومن تاريخها القومى؛

---

(١) عنى الأستاذ المستشرق ليفى بروفنسال بجمع النقوش والنصوص الأثرية الاسلامية فى اسبانيا وشرحها وترجمتها إلى الفرنسية فى كتاب ضخم فى مجلدين عنوانه «النقوش الاسلامية فى اسبانيا Inscriptions Arabes d'Espagne» وبه صور عديدة لهذه النقوش والنصوص

فلم تمض أعوام قلائل على سقوط غرناطة حتى أمر الكردينال كمنيس بالكتب العربيـة فجمعت من سائر الأنحاء وأحرقت أكداساً فى أكبر ميادين غرناطة ، وكان منها ألوف مؤلفة من كتب الدين والفقه والتاريخ والأدب وغيرها ، ولم يستثن منها سوى ثلثمائة من كتب الطب والرياضة وهبت لجامعة الكالا (القلعة) التى أنشأها كمنيس ، وأبيد بتلك الجريمة البربرية التى ارتكبت عام ١٤٩٩ معظم تراث الأندلس الفكرى (١)

ومع ذلك فقد بقيت من الكتب العربية فى اسبانيا مجموعة كبيرة أودعت فى أقبية الأسكوريال ، وأخفيت بعناية عن نظر كل باحث ومتطلع ؛ وكان عددها حتى أواسط القرن السابع عشر يبلغ نحو عشرة آلاف مجلد ؛ ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس ، ففى سنة ١٦٧١ شبت النار فى الأسكوريال والتهمت معظم هـذا الكنز الفريد ، ولم ينقذ منه سوى ألفين ، هى التى عهدت الحكومة الاسبانية فى منتصف القرن الثامن عشر الى العلامة اللبنانى ميشيل الغزيرى ببحثها وتصنيفها فى فهرسه الجامع (٢) ، وهى التى بقيت إلى يومنا من تراث الأندلس

هذا عن تراث الأندلس الفكرى . أما عن الآثار المادية ، فقد حولت جميع المساجد الجامعة إلى كنائس ، وتناولتها يد التدمير بالهدم والتحوير ، وضحيت جميع الذخائر والاعتبارات الفنية فى سبيل تحقيق الشهوات الدينية ؛ ولم يأت القرن الثامن عشر حتى كادت آثار الاسلام كلها أن تمحى من اسبانيا ؛ ولم يبق منها سوى حمراء غرناطة ومسجد قرطبة والقصر فى أشبيلية ومجموعة من اللوحات والتحف والنقوش الأثرية فى متاحف مدريد وقرطبة وبنبلونة وأشبيلية وغيرها

هذه البقية الباقية من تراث الاسلام فى اسبانيا يحدق الآن بها خطر داهم ، ويخشى بحق أن تمتد إليها يد التدمير التى تحطم الآن كل شئ فى طريقها ؛ فهل تبقى الأمم الاسلامية على صمتها وجمودها حتى تقع الفاجعة ويمحى ذلك التراث العزيز تحت وابل النار والقنابل ، أم يجدر بالأمم الاسلامية أن تحذو حذو مندوب بوليفيا لدى عصبة الأمم فترفع صوتها مطالبة بالعمل لانقاذه وحمايته ؟ نعتقد أن الأمم الاسلامية المختلفة تستطيع أن تبذل على يد حكوماتها من المساعى فى هـذا السبيل ما يكفل لفت نظر الفريقين المتحاربين فى اسبانيا إلى احترام هـذا التراث المقدس الذى لا يعنى أمره اسبانيا وحدها ، بل يعنى أمره العالم العربى والاسلامى أيضاً ، ويعنى أمره العالم المتمدن بأسره

ولسنا نعرف أى سبيل ستتخذ عصبة الأمم إذا استجابت لدعوة مندوب بوليفيا ، وهى بلا شك سوف تحلها مكانها من الأهمية والعناية ؛ وليست الوسيلة مما يهم فى الواقع ، وكل ما يهم هو أن يصل هـذا النداء إلى حماية الآثار والذخائر الفنية إلى الفريقين المتحاربين فى أسبانيا ؛ وإذا لم يكن فى وسع الأمم والحكومات ذات الشأن أن تساهم فى هذه الدعوة بطريق مباشر ، وأن تتصل فى ذلك بطريق الثوار ، وهم يسيطرون على أشبيلية وقرطبة وغرناطة ، فلا بأس من أن تساهم فيها على يد عصبة الأمم ذاتها

ونحن نعرف أن حوادث الحرب الاسبانية ، ووسائلها المخربة ، ومناظرها المؤسية ، كانت مثار الروع والأسى فى جميع الأمم المتمدنة ، ونعرف أن حكومات بعض الدول العظمى قد فكرت فى أن تقوم بالسعى فى سبيل تخفيف ويلات هذه الحرب الأهليـة الطاحنة ، وحمل الفريقين المتحاربين على اتباع القواعد الانسانية ، وربما بذلت بعض النصح فى هذا السبيل ؛ ولا ريب أن تحطيم الآثار والذخائر الفنية لا يقل شناعة عن سفك الدماء ذاته ، ومن أقدس واجبات الجيوش المتمدنة أن تحرص على قدسية هذا التراث الفنى وصونه من كل اعتداء

هذا ويجدر بالهيئات العلميـة والثقافية فى الأمم العربية والاسلامية أن تتخذ الخطوة الأولى فى هذا السبيل ، فتبث إلى حكوماتها المختلفة ما يساورها على مصير الآثار الأندلسية من جزع ، وترجوها أن ترفع صوتها الرسمى بالدعوة إلى حمايته ، وأن تبذل فى ذلك السبيل ما استطاعت من السعى الودى ؛ وفى وسع هذه الهيئات العلمية والثقافية أيضاً أن تذيع دعوتها فى الصحافة الدولية ، فللصحافة الدوليـة صوت مسموع ، وفى وسعها أن تقوم بدور فى هذا الشأن ، وهى ما زالت تنوه بشناعة الاجراءات

---

(١) تقدر الرواية الاسبانية عدد الكتب العربية التى ذهبت ضحية هذه الجريمة الشائنة بنحو ثمانين ألفا

(٢) Casisi : Bibliotheca Arabico Hispāna Escurialensis
أو « المكتبة العربية الاسبانية فى الأسكوريال » وهو باللاتينية فى مجلدين كبيرين

الجانب الصـــوفى
فى الفلسفة الاسلامية

للدكتور ابراهيم يومى مدكور
مدرس الفلســفة الإسلامية بكلية الآداب

تتمـــة

—٦—

وقبل أن نختم بحثنا هـذا نقول كلمة مختصرة فى أثر هذه النظرية فى الفلسفة المدرسية اليهودية والمسيحية ، وفى بعض فلاسفة العصور الحديثـة ، وفلسفة اليهود فى القرون الوسطى ، أو بعبارة أدق الدراسة اليهودية الفلسفية فى ذلك العهـد هى فى الواقع صدى للفلسفة الاسلامية (١) ، واليهود هم خلفاء العرب على تراث أرسطو والفلاسفة الآخرين ، وقد فازت الفلسفة على أيديهم منذ القرن الثالث عشر الميلادى فوزا عظيما ، وأضحوا أنصارها طوال القرون الثلاثة التالية حين خـذلتها الشعوب الأخرى ، فأخذوا الأفكار العربية أو المعرَّبة ونقلوها إلى لغتهم وتدارسوها فيما بينهم ، وتتلمذوا لفلاسفة الاسلام تلمذة صادقة مخلصة ، ودون أن نستقصى هنا كل مفكريهم نكتفى بأن نشير إلى شيخهم الأعظم وأستاذهم الأكبر موسى بن ميمون الذى يعد بحق الممثل الأول للفلسفة اليهودية المدرسية ، وإذا ما ذكر ابن ميمون ذكرت الفلسفة الاسلامية على الفور ، فقد اعتنق كل نظرياتها تقريباً ، وصادفت نظرية السعادة بوجه خاص من نفسه هوى ، ووجد فيها مجالاً فسيحاً للتوفيق بين الفلسفة والدين ، فهو يعتقد أن البحث والثقافة سبيل الكمال الانسانى ، وأن العلم هو العبادة الحق التى يستطيع العبد التقرب بها إلى ربه وكشف الحقائق الغامضة ؛ وكلما أمعن الانسان فى الدراسة والنظر كلما ازداد قرباً من ربه ، ويشبه ابن ميمون الخالق والخلق فى رتبهم المختلفة بملك عظيم يسكن قصراً منيفاً فى مدينة كبيرة ، وسكان هذه المدينة بين المعجب بهذا القصر المصوب النظر اليه ، والغافل عنه المعرض عن جماله وجلاله ، ومن فتنوا به قد يدفعهم الشوق إلى السعى نحوه والطواف حول جدرانه الفخمة ، وربما اقتحموا عتبته وانسـابوا إلى حدائقه وأفنيته الملأى بالأزهار والرياحين والمناظر البهجة ، ومنهم من يقنع بهذه الغاية ولا يطلب وراءها مزيدا ، وذوو النفوس السامية والهمم العالية يأبون إلا التشرف بالمليك فى حضرته والاصغاء إلى حديثه والتمتع برؤيتـه ، وحينذاك يحظون بالغبطة الدائمة والنعيم المقيم (١) ، وواضح أن هؤلاء المـاثلين فى الحضرة الملكية هم من فازوا بالسعادة الفارابية ، والمليك الذى يرمز اليه ابن ميمون ليس شيئاً آخر سوى العالم الروحانى الذى نسعى إلى الاتصال به

تأثر فلاسـفة القرون الوسطى المسيحيون كذلك بكثير من الآراء الفلسفية الاسـلامية ، ولم يكن التصوف الفارابى بوجه خاص بالغريب عليهم ، ذلك لأن المسيحية نفسها تشايع الأفكار الصوفيـة فى جملتها وتدعو إلى قدر منها غير قليل ، وإذا كانت الأشياء كلها صادرة من الله وعائدة إليه فخطيئة عظمى أن ينسى المخلوق خالقه أو أن يتراخى فى السعى نحوه والقرب منه . على أن الوصول إلى الذات الأقدس ليس بالمسير فى رأى المتصوفين المسيحيين ، فانا ندنو من الله كلما خففنا أحمالنا وأعرضنا عن

(١) مدكور ، الرسالة ، العدد ٩١ ، ص ٤٩٥

(١) موسى بن ميمون ، دلالة الحائرين ؛ ج ٣ ؛ ص ٤٣٣ وتوابعها

والوسائل المخربة التى ترتكب خلال الحرب الاسبانية؛ وقد لفتت نظرها فظائع موقعة القصر الأخيرة ، وما أصاب القصر من حرق وتخريب ، فأخذت تنوه بهـذه الخسارة الأثرية وبالخطر الدائم الذى يهدد تراث أسبانيا الأثرى والفنى من جراء هذه الحوادث ؛ وعلى أثر ذلك ارتفع صوت مندوب بوليفيا فى أرجاء عصبة الأمم بمثل هذا النذير

وهانحن أولاء نردد هذا النذير بدورنا ؛ ونحن على يقين من أنه سيحدث صداه وأثره فى جميع الهيئات العلمية والثقافية فى الأمم العربية والاسلامية ؛ وإذا كانت بوليفيا ، تلك الجمهورية النائية فى أعماق أمريكا الجنوبية قد حفزتها البواعث التاريخيـة والانسانية على أن توحى لمندوبها أن يلقى نداءه أمام عصبة الأمم ، فأولى وأجدر بالأمم الاسلامية أن تلبى داعى الواجب والمساهمة فى هـذا المسعى الكـريم الذى يبذل صوناً لتراث الاسلام فى أسبانيا ؟

محمد عبد الله عنان

شواغل الحياة (١)، وقد كتب المسيو جلسون أستاذ الفلسفة المدرسية المسيحية الآن فى « كلويج دى فرنس » ؛ وهو الحجة فى هـذا الباب فصلاً ممتعاً فى نظرية الحب المسيحية وأبان ما انطوت عليه من مدلولات خفية ونزعات صوفية (٢)، ومحبة الله هى السبيل الذى يقربنا منه ويقودنا إلى السعادة الفارابية ، ويجب أن نضيف إلى هـذا أن السعادة التى تعشقها الفارابى تعتمد على قوة أخرى وتستمد نفوذاً آخر من سلطان عظيم ، ألا وهو سلطان أرسطو الذى استولى على القرون الوسطى المسيحية استيلاء تاماً منذ القرن الثالث عشر للميلاد . فان هـذه السعادة أشبه ما يكون « بالأدعونيا » الأرسطية ؛ وقد أسلفنا القول فيما بينهما من صلة (٣) . لذلك لم يتردد كثير من أنصار أرسطو المسيحيين فى اعتناق هذه النظرية وإن حاربوا فى عنف غيرها من آراء الفلاسفة المسلمين . فألبير لجراند وسان توماس يتحدثان عن عقل مقدس Intellectus sanctus هو فى الغالب ابن « للروح القدسـية » التى أشاد بذكرها الفارابى من قبل (٤) . وسان توماس يقرر فى وضوح أن سرور النفس وغبطتها تنحصر فى تأمل الحقائق الأزلية (٥) . فالسعادة الفارابية أثرت إذن فى يهود القرون الوسطى ومسيحيها على السـواء ، وليس بعزيز علينا أن نبين المصدر الذى أخذ عنه المسيحيون هذه النظرية ، فقد قرأوا عنها شيئاً فيما ترجم من رسائل الفارابى إلى اللاتينية ووقفوا عليها مفصلة فى مؤلفات ابن سينا وابن رشد وفى كتاب موسى بن ميمون المشهور « دلالة الحائرين » الذى استقى منه الغرب كثيراً من الأفـكار الشرقية

***

لم يقف أثر هذا الكتاب فى نشر الأفكار الاسلامية عند القرون الوسطى ، بل جاوزها إلى العصور الحديثة ، وذلك أنا نجد لدى واحد كاسبينوزا أو ليبنتز آراء كثيرة الشبه بآراء فلاسفة الاسلام : فنظرية النبوة عند الأول تشبه شبها عظيما النظرية التى أخذ بها الفارابى ؛ ومشكلة العناية عند الثانى لا تختلف كثيراً عما قال به ابن سينا من قبل (١) . ربمـا يبدو غريباً أن نحاول إثبات علاقة بين مفكرى الاسلام وهؤلاء الفلاسفة المحدثين ، خصوصاً وقد جرت عادة مؤرخى الفلسفة الاسـلامية أن يقفوا بها عند القرون الوسطى . وما فـكر واحد منهم ، فيما أعلم ، أن يدرس الصلة بينها وبين فلسفة العصور الحديثة دراسة منظمة . غير أنا نرى أن هذه الصلة جديرة بالبحث والدرس ومعتمدة على أسس تعززها ؛ فقد عرف اسبينوزا كتاب دلالة الحائرين وعنى به عناية كبيرة ، كما عرفه ليبنتز وأثنى عليه ثناء مستطاباً (٢) فعلى ضوء هـذا الكتاب نستطيع أن نحدد إلى أى مدى تأثر رجال العصور الحديثة بالأفـكار الاسلامية . ويخيل إلينا أنا أول من تنبه إلى هذه العلاقات التاريخية ، وقد حققناها فيما يتعلق بنظرية النبوة (٣)

ويمكننا أن نلاحظ كذلك وجوه شبه بين نظرية السعادة الفارابيـة وبعض الأفـكار الصوفية الحديثة ، وخاصة لدى اسبينوزا الذى تربطه بالفارابى أكثر من علاقة واحدة . فـكلاهما يعد السعادة غاية لمذهبه الفلسفى ؛ ويعملان على تحقيقها بوسائل متماثلة . وكلاهما صوفى النزعة فى سلوكه وآرائه ، وتصوفهما عقلى نظرى مبنى على العلم والدراسة . ونظريتاهما الـكلامية متقاربة ومتشابهة ؛ فصفات البارئ عند الفارابى لا تختلف كثيراً عنها لدى اسبينوزا . الله فى رأيهما علم ومعلوم وعالم فى آن واحد ، وهوية وماهية معاً ؛ هو مسبب الأسباب والجوهر المطلق أو الجوهر الوحيد (٤) . فهو موجود بنفسه وجودا أزليا قديمـا ، وكل الـكائنات تستمد جودها منه . وعلى هـذا نرى أن الفيلسوف العربى والفيلسوف الاسرائيلى يقولان بمذهب وحدة الوجود . وإذا كانت النفوس البشرية قد استمدت وجودها من الله فهى دائما فى نزوع اليه ؛ وكمالها فى أن تتجه نحوه وتقترب منه وتحبه

(١) Guignes Le Chartreux, Méditations, I I et V.

(٢) Gilson, L'Esprit de lo philosophie médiévale, t. I, p p. 65 — 85.

(٣) مذكور ، الرسالة ، العدد ١٦٨ ص ١٠٢٧

(٤) Gilson, Archives, t. IV, p. 74. انظر الرسالة أيضاً (١٦٨) ص ١٠٢٤

(٥) Carra de Vaux, Les penseurs de l'Islám, t. IV, p. 73.

(١) Madkour, Le place d'al Fârâbî, p p. 206 — 209.

(٢) Madkour, La place d'al Fârâbî, p p. 208 — 209

(٣) نشير هنا إلى بحث عالجناه من قبـل ؛ وربمـا وفقنا لنشره على صفحات الرسالة

(٤) Spinoga, Ethique, II ch. 7.

حبا صادقا . وهـذا هو الحب الفلسفي الذى يتغنى به اسبينوزا ، ويرى فيه لذة لا تنقطع وغبطة تجل عن الوصف (١)

الآن وقد تتبعنا نظرية السعادة الفارابية منذ نشأتها الى أن أسلمناها الى العصور الحديثة نستطيع أن نقرر أن المشائين من العرب أثروا فيمن جاء بعدهم تأثيرا واضحا . فأفاد منهم مفكرو الاسلام لا فرق بين متطرفيهم ومعتدليهم فى نواح كثيرة ، وإن تحاملوا عليهم وحاربوا معظم نظرياتهم . وأخذ عنهم رجال الفلسفة المدرسية من يهود ومسيحيين كثيرا من آرائهم وأفكارهم . ولم يقف أثرهم عند القرون الوسطى بل تعداها الى العصور الحديثة ، وقد أوضحنا فيما سلف وجوه الشبه بين بعض النظريات الفارابية والآراء الأسبينوزية ، نحن لا ندعى طبعا أن الفلسفة الاسلامية أثرت تأثيرا مباشرا فى رجال العصر الحديث وجماعة الديكارتيين بوجه خاص ؛ فان أحدا منهم لم يعرف العربية . ولـكن الأفكار الاسلامية نفذت اليهم ، فيما نعتقد ، عن طريقين : طريق اليهود وطريق المسيحيين ، ففيما كتب موسى بن ميمون مثلا أو سان توماس ما يحكى بعض الأبحاث الاسلامية . وإذا كانت الفلسفة الاسلامية نفسها لا تزال غامضة ومجهولة ، فبديهى أن يبقى أثرها فى طى الخفاء ، ولا سيما إذا كان هـذا الأثر متعلقا بناحية يزعم الناس أنها بمنأى عن التأثر . فقد شاع خطأ أن ديكارت يفصل فصلا تاما بين عهدين ، وأنه أب لفلسفة لا تحمل فى ثناياها شيئاً من آثار الفلسفات السابقة ، غير أن هذه الفواصل المزعومة بين العصور قد امحت ، وهذه السدود المقـامة باطلاً بين مراحل التفكير الانسانى قد انهارت . وقد ثبت فعلاً أن ديكارت سبق الى كثير من أفكاره فى القرون الوسطى المسيحية ، كما أن مذهب ليبنتز مثلاً يقترب من الفلسفية المدرسية والاغريقية بقدر قربه من النظريات الديكارتية (٢) . فلم لا نحاول بدورنا أن نوازن بين شك ديكارت وشك الغزالى ؟ ولم لا نبحث عن أصل للتفرقة الاسبينوزية بين الذات والوجود عند الفارابى كما بحثنا عنه لدى كثير من الفلاسـفة المتقدمين ، إنا إن فعلنا خـدمنا القرون الوسطى والتاريخ الحديث ، وألقينا جزءاً من الضوء على طائفة كبيرة من النقط الغامضة ، وقمنا بقسطنا فى ربط الفلسـفة الاسلامية بسلسلة التفكير الانسانى

ولنا رجاء آخر ، وهو أن تتجه الجهود نحو العصور المتأخرة من تاريخ الثقافة الاسلاميـة ؛ فان ما كتب عنها لا يكاد يذكر ومعلوماتنا عنها محدودة للغاية . وقد حاول هورتن فى أبحاث متفرقة أن يوضح جانبها الفلسفى ؛ إلا أن أبحاثه غير ناضجة ، وهى أشبه ما يكون بمقدمات لدراسة كاملة لم تبـدأ بعد . وأما اللغة والتشريع والتوحيد والتصوف فلا تزال فى طى الـكتمان تماماً . ومن غريب المصادفات أن أحد قراء (الرسالة) بعث إلينا ، ونحن نكتب هذه الـكلمة ، مستفسراً عن بعض أبيات للصوفيـة المتأخرين . فالجمهور المثقف يشعر إذن بهذا النقص ويشاركنا فى الشكوى منـه ، ولعل أغمض شىء فى هذا الدور حقيقة هو تاريخ التصوف على الرغم مما فيـه من طرافة ، وما له من أهمية اجتماعية وفلسفيـة . نحن لا ننكر أن عصور الظلام ثقيلة على النفس وليس فيها شىء كثير يجتذب الباحث أو القارئ ، هذا إلى قلة مصادرها وتعـذر السير فيها والاهتداء الى معالمها . بيد أن ربط حاضرنا بماضينا يستلزم أن نجلى غامضها وندرسها دراسة كافية .

ابراهيم بيومى مدكور

(١) Bréhier, Hist. de la philos. t. II 159

(٢) Blanchet, Les antécédents hist, du « Je pense done je suis Paris, 1920.

تصويب

جاء فى مقال الدكتور المنشور فى العـدد الماضى ص ١٦٥٤ « وإذا كان الغزالى هو أكبر خليفة لأبى موسى الأشعرى » وهو سهو قلمى ، والصواب : « أبو الحسن الأشعرى » كما لا يخفى

في الأدب المقارن

الطبيعـــــة
في الأدبين العربي والانجليزي
للأستاذ فخري أبو السعود

الطبيعة إلف الشاعر الحميم ، وتوأم روحه ، ومرتع فكره ومتاع بصره ، ومهبط وحيه ، ومعاهد متعاته وذكرياته ، إلى ظلالها يسكن ، وبين محاسنها يهيم ، وعندها ينفض أوشاب العيش ويطرح أعباءه ، ويستريح فكره الذي أنضاه التعب ، ونفسه التي أضجرتها معاشرة الناس ، وتتهادى إليه عذارى الشعر طائعة ، وتسلس إليه شوارد الأفكار مقادها ، ويظل يلتفت إلى ماضي أوقاته بين مباهجها بحنين عذب ، ويأمل معاودتها بقلب شيق ؛ فلا غرو يكون للطبيعة في نفس الشاعر المطبوع مكان أثير ، وفي أدب الأمة الراقية منزلة رفيعة

وقد نالت الطبيعة لدى أدباء الانجليزية في أغلب عصورها هذه المكانة التي هي بها جديرة : فعكفوا جيلاً بعد جيل وأديباً إثر أديب على وصف مظاهرها وعبادة مفاتنها ، وملأوا جانباً كبيراً من نظمهم ونثرهم بأوصاف الوديان اليانعة ، والربى الحالية والأمواه الجارية ، والأطيار الصادحة والافلاك الدائبة والغيوث الساجمة ، ووصفوا الطبيعة في حالي رضاها وغضبها ، وابترادها ودفئها ، واكتسائها وعريها

وتوسلوا للتعبير عن فرط هيامهم بمحاسنها المتجددة بشتى الوسائل : فبثوا أوصافها في رواياتهم الشعرية وقصصهم النثرية ، كما فعل شكسبير وهاردي ، وطاروا على أجنحة الخيال إلى الوديان السحرية ، والغابات المجهولة ، والشواطئ النائية ، يرصعون كل أولئك ببدائع الأوصاف ونفثات العواطف ، وعبادة الجمال الطبيعي ، متخذين مسرحاً لكل ذلك خرافات الأقدمين كما كان يفعل سبنسر وكولردج وتنيسون وبروننج ، أو جنات الفردوس كما فعل ملتون

ومن أولئك الشعراء من يدينون بخلودهم لأوصافهم الطبيعية الرائعة ، وقلما يهتم أحد اليوم لما نظموه في النسيب أو الاجتماع أو السياسة ، مثل تنيسون ، بل منهم من لم يكد يؤثر عنه قول في غير الطبيعة ، أو تخلو قصيدة له من أثر لها ، مثل وردزورث . ولا غرو فالطبيعة مادة الشعر وصميمه ، ولربما عرض في القصيدة قد نظمت في أي غرض كان بيت أو بيتان يحويان وصفاً طبيعياً بديعاً ، فاذا هما يرفعان من قدرها ويحببانها إلى النفوس ويكونان سبب اشتهارها وسيرورتها

ولا ندحة عن القول بأن الطبيعة لم تنل هذه الرعاية ولم تحتل هذه المكانة في الأدب العربي ، ففي العربية لا ريب أوصاف طبيعية بالغة غاية الجودة ، ولكنها قليلة إذا قيست بنظائرها في الانجليزية ، قليلة إذا قيست بما نظم أو نثر في العربية ذاتها في غير الطبيعة من أغراض ، فليس ما قيل في وصف جمال الطبيعة يبالغ عشر معشار ما قيل في التشبيب بالجمال الانساني ، ولم يعرف من شعراء العربية من قصر شعره على التغني بمباهج الطبيعة ، وإن منهم لمن قصر قوله على النسيب بهند وليلى وأترابهما

وقلما جاءت أوصاف محاسن الطبيعة مقصودة لذاتها مستقلة بنفسها في قصيدة أو رسالة ، بل كان ذكرها غالباً يأتي عرضاً كأنها غير جديرة وحدها بالتفات الشاعر وتكلفه عناء النظم ، وكانت تستعار مظاهرها وأحوالها لبيان أغراض أخرى عن طريق التشبيه ترصع القصيدة بفنونه ، وجاء أصحاب المجموعات الشعرية الذين اختاروا صفوة أشعار العرب في أقوى عصور الأدب ، كأبي تمام والمفضل الضبي ، فما أفردوا للطبيعة باباً من أبواب مختاراتهم ، وإنها لأجدر بالصدر

وكان فحول الشعراء ينصرفون عن وصف محاسن الطبيعة التي تكتنفهم ، ومفاتن الجنات الزاهية التي كانت مهاد الدولة الاسلامية ، بمروجها وأنهارها وجبالها وأجوائها ، إلى وصف قصور الأمراء وحدائقها ونافوراتها وبركها الصناعية ، فالبحتري يعرض ببصره عن جبال لبنان الفاتنة متجهاً إلى مقاصير ابن خاقان :

تلفت من عليا دمشق ودوننا ... للبنان هضب كالغمام المعلق
إلى الحيرة البيضاء فالكرخ بعدما ... ذممت مقامي بين بصرى وجلق
رباع من الفتح بن خاقان لم تزل ... غنى لعديم أو فكاكاً لمرهق

ولابن المعتز وابن حمديس وابن خفاجة شهرة بوصف الطبيعة ،

ولكن كثيراً من أشعارهم يتسم بالفتور ويصطبغ بالصنعة وترين عليه مسحة التكلف والتظرف ، وتنقصه حرارة الهيام بالطبيعة والامتزاج بروحها والنفاذ إلى خفى معانيها وأسرارها ، وتجرى فى أشعارهم تشبيهات تكررت حتى مُلَّت : فالأصيل ذهب والحصباء در والنسيم ينسج من الماء درعاً ، ويُفسد الكثيرَ من تلك الأشعار الحرصُ على حسن التعليل كقول ابن حمديس فى نهر :

جريح بأطراف الحصى كلما جرى … عليها شكا أوجاعه بخريره

فشتان بين خرير النهر الحى المتدفع وبين الجراح والشكوى والأوجاع ، وأمثال هذا القول تدل على شعور زائف وملاحظة سطحية

وبعض أولئك الشعراء إذا استهزتهم فتنة الطبيعة وصفاء الأوان ، نظموا فى ذاك أبياتاً شغفوها للتو بدعوة لصديق أو عشيق أو نديم يناشدونه أن يتحفهم برفقته ويعجل لهم بالراح والأوتار ، فالبحترى بعد أن تأنق فى وصف الربيع قال :

فما يحبس الراح التى أنت خلها ؟ … وما يمنع الأوتار أن تترنما ؟

وغيره يقول :

ولما حللنا منزلاً طله الندى … أنيقاً وبستاناً من النور حاليا
أجد لنا طيب المقام وحسنه … منى فتمنينا فكنت الأمانيا

ولا يدل هذا على كبير شغف بالطبيعة أو حسن فهم لجمالها ، وليس بمشغوف بالطبيعة ولا فاهم لأسرارها من لا تكفيه مفاتنها السافرة حتى يستعين لاكمال سروره بالسَّمَر والغزل والغناء والسكر ، وإن أحب ما تكون الطبيعة إلى عاشقها الصادق لحينَ يصحبها وحيداً ، فهو يرى مفاتنها خير رفقة له وخير مؤانس لمهجته

وقد حظى الربيع دون غيره من الفصول بالتفات شعراء العربية ، كأن الربيع وحده هو فصل الجمال والصفاء والحبور ، وبقية الفصول أوانٌ لكسب الرزق واحتمال قبح الحياة ، كما قال الطائى :

دنيا معاش للورى حتى إذا … جاء الربيع فانما هى منظر

ولو درى لعلم أن هذه الدنيا منظر لمن شاء أن يرى ويشعر فى كل الفصول وفى جميع حالاتها ومظاهرها ، وإن للشتاء لروائعه وجاذبيته كما للربيع ، وإن جميع مجالى الطبيعة وأشكالها لمسارح للب الشاعر ومجالات لفنه وتصويره ، وقد تغنى شعراء الانجليزية بفتنة الخريف كما ترنموا بسحر الربيع ، واستجاشهم غضب اليم وتجهُّم الأفق كما استهواهم صفاؤهما ووداعتهما

ومن شعراء العربية من يضيق باعهم فى وصف الطبيعة قبل أن يقولوا فى المنظر المجلو أمامهم أبياتاً ، ويدركهم العجز والاحالة فيسبحون بقدرة البارىء ووحدانيته ، كما قال النواسى :

على قضب الزبرجد شاهدات … بأن الله ليس له شريك

وقول أبى تمام :

صبغُ الذى لولا بدائع لطفه … ما عاد أخضر بعد إذ هُو أصفر

فقدرة الخالق أمر لا شك فيه ، والاشارة إليها فى هذه المواقف سذاجة فى القول والتواء فى استرسال الفكر ، وهرب من مواصلة التأمل والوصف ، والموقف موقف استمتاع بالجمال وتصوير له ، لا موقف وعظ وخشوع . وازن هذين البيتين بقول تنيسون فى زهرة ضئيلة : « أيتها الزهرة النامية بين شقوق الجدار ، ها قد انتزعتك أناملى ، وهأنت كلك محمولة فى كفى ، بيد أنى لو استطعت استكناه سرك لعرفتُ سر الله والانسان جميعاً »

فهذا شاعر يفكر ويتأمل ويتوق إلى المعرفة ، وذانك شاعران يسلمان تسليم العجز ، فلا أجادا التصوير ولا استرسلا فى التفكير

فأغلب شعر الطبيعة فى العربية — على قلته — تنقصه حرارة الشغف بها وطول مصاحبتها وممازجتها روحا بروح ، وإدمان التأمل فى محاسنها ومحاولة النفاذ إلى معانيها ، وصدق التعبير عن وحيها ودقة الوصف لمجاليها المتعددة ، وظلَّ الالتفاتُ إليها دائما ثانويا ، والانتباه إليها عرضيا ، والأُنس بها وقتيا وشيك الزوال

بل كان من فحول العربية من كأن بينهم وبين الطبيعة حجاباً كثيفاً ، فندر أن أعاروها بالا ، ولم يقع ذكرها فى شعرهم ونثرهم ، إلا وقوعَ الغلط ، كالمتنبى والشريف الرضى ، برغم كثرة أسفار الأول بين المواصم والفلوات ، وقد صرف الكُتَّاب صناعتهم إلى كثير من وجوه البيان ، فلم يختصوا الطبيعة بكبير عناية ، وتوخى بديع الزمان فى مقاماته أن يضرب فى كل ناحية من نواحى القول بسهم ، ليبدى براعته للقارئين ، إلا الطبيعة فأنها لم تفز منه بالتفات

فالعربية تكاد تقفر من الوصف الطبيعي السامي المقصود لذاته ، لولا شاعر فرد هو ابن الرومي الذي تنطق أشعاره بحب للطبيعة عميق ، وانجذاب لسحرها لا يدافع ، ونظر في محاسنها وأغوارها نافذ ، وقد أنشأ لوصف مختلف مظاهرها قصائد كثيرة ، أودعها خير ما في العربية من وصف الجنان والفلوات ، والأصائل والأسحار ، والغيم والمطر ، والطير والوحش ، وشعره في كل هذا يضارع أسمى ما في الشعر الانجليزي

وضآلة حظ الطبيعة في الأدب العربي راجعة إلى عوامل متتابعة توالت على الأدب في مختلف عصوره ، فحالت دون أن يكون ترجماناً صادقاً مبيناً لشعور أصحابه في هذا الباب ، وهي أولاً بداوة العرب في أول تاريخهم ، وثانياً تكسب الشعراء بشعرهم في عهد الحضارة والدولة ، وثالثاً شدة محافظتهم وتقليدهم للمتقدمين ، وأخيراً تغلب الصنعة اللفظية في عهد تدهور الأدب

فوصف محاسن الطبيعة وآثارها في النفس وصفاً مسهباً محكما مقصوداً لذاته عمل فني لا يتأتى إلا باعمال الفكر ورياضة النظم ، وهو مالا يتيسر في عهد البداوة ، فضلاً عن أن المناظر الصحراوية واحدة متكررة صارمة لا تحفز إلى التصوير الشعري المسهب كما تحفز إلى التأمل في الخالق ورهبته وحكمة صنعه ، وقد ظلت هذه النزعة الدينية التي بثتها البادية في نفوس العرب ، وكانت التنشئة الدينية في العصور التالية تنميها فيهم منذ الصغر ، مصاحبة لهم فيما بعد ، تغلبهم على الاستمتاع بروائع الجمال الطبيعي وآيات الفن الانساني ، فترى شاعرهم إذا وقف بمنظر فتان أو أثر خلفه القدماء فسرعان ما ينصرف عما ثمت من معاني الجمال أو القوة إلى التسليم بعظمة الخالق وضعف المخلوق وفناء الأفلاك وسقوط الجبابرة ، وقد سبق التمثيل لشيء من ذلك ، والبحتري يقول :

أناة أيها الفلك المدار أنهب ما تصرف أم جُبار ؟
ستفنى مثل ما تُفني وتَبلى كما تُبلى فيدرَك منك ثار

ولما تحضر العرب وشاهدوا الأقطار الواسعة ونعموا في الجنات اليانعة ، ودخل أدبهم في طور الثقافة والصناعة الفنية ، ظهرت آثار الوصف الطبيعي في بعض أشعارهم ، ولكنها كانت قليلة كما تقدم ، وعمهت عيون أكثر الشعراء عن محاسن الطبيعة وأسرارها في غمار المدينة ، حيث تكأكأوا متزاحمين على عطايا الأمراء ، وزهدهم في وصف المناظر الطبيعية قلة ما ورد منها في شعر المتقدمين الذين كانوا يترسمون خطاهم ، حتى إذا كان عهد الاضمحلال الأدبي غلب التظرُّف واصطناع الرقة والنكتة اللفظية على الشعر ففقد كل روح وحرارة

أما الأدب الانجليزي فلم يخنقه جو المدينة أو يرهقه تقليد القدماء إلا في عصر محدود ما لبث أن بددته النهضة الرومانسية التي كانت في جوهرها عودةً الى الطبيعة أي الى الشعر الصحيح وبين النقاد المحدثين من يأبى قبول ما نظمه أقطاب العهد الكلاسي في عداد الشعر الصحيح ، وفيما عدا ذلك العهد كانت الطبيعة دائما قبلة الشعراء شغفهم بها حباً أمران : تعدُّدُ مجاليها وتتابع تقلباتها واختلاف صورها في بلادهم ، ودراستهم للشعر الاغريقي الحافل بالصور الطبيعية ، ويتجلى أثر هذا العامل الأخير في المقطوعة التي نظمها كيتس معبراً عن شديد حبوره وبالغ متعته عقب قراءة ترجمة الالياذة

بيد أن اللغة العربية ذاتها حافلة بالأسماء والأوصاف لشتى مظاهر الطبيعة وآثارها ، وحالاتها وأوقاتها ، غنية بكل مايحتاج اليه الأديب القدير لينقل على القرطاس أيّ المناظر الطبيعية شاء ، نقل المصور الصناع ، وهنا أيضاً يبدو لنا التفاوت بين مقدرة اللغة واستعدادها ، وتقصير أدباء العربية في عهد ازدهار الحضارة دون كثير من غايات الأدب

فخري أبو السعود

فى الخطابة

للأستاذ عبد المجيد نافع

كانت الخطابة ولاتزال من أقوى وسائل الاقناع ، وهى أفعل فى النفوس من الكتابة ؛ وشتان بين الكلام الحى والكلمات الجامدة ؛ وإذا كان الكاتب يعرض عقله ومنطقه فان الخطيب يبلغ موضع الاقناع من نفوس السامعين بروحه ، ويطبعهم بطابع شخصيته . ولا شك أن لروح الاجتماع أثرها فى النفوس ، فقد فرغ علماء النفس من تقرير أن الفرد فى الجماعة أشد قابلية للتأثر ، وأعظم اندفاعا فى طريق الحماسة ، ولذلك ترى بعض الناس إذا خلوا إلى أنفسهم ، وتخلصوا من حماسة الجماعة فقرأوا فى هدوء الخطب التى سبق لهم سماعها عجبوا كيف كان لهذا الكلام العادى المبتذل كل هذا الأثر البليغ فى نفوسهم . ولا تنس أن للبيئة والظروف المحيطة والذكريات المثارة أثرها الفعال فى النفوس . وليس من يمارى فى أن المرحوم سعد باشا كان فى طليعة الخطباء ؛ شخصية بارزة ، وذهنية خصبة ، وعقلية جبارة ، وبديهة حاضرة ، ولفظ مختار ، وقدرة على الارتجال لا تجارى ولا تبارى ، ولكن لا تعتقد أن هذه المواهب مجتمعة كانت هى وحدها العناصر المؤلفة لشخصية « سعد الخطيب » . وإنما كان سعد إذا نهض يخطب نهضت معه الذكريات ، وتراءت حوله المثل الوطنية العليا . كان سعد إذا خطب ثارت أمام الخواطر ذكريات مالطة ، وسيشيل ، وجبل طارق ؛ والحرية المسلوبة ، والاستقلال المغصوب ، والضحايا والشهداء الذين بذلوا أرواحهم وأراقوا دماءهم فى سبيل الحرية والاستقلال . والخطب الخالدة فى التاريخ التى ألقاها عظماء الرجال تستمد قوتها وخلودها من عظمة شخصياتهم ورهبة المواقف التى كانوا يقفونها ، أكثر مما تستمد هذه القوة وذلك الخلود من قيمتها الذاتية . ولو أنك عرضتها على محك النقد الصادق ، وحللتها فى ضوء المنطق والمعقول ، لوجدت أنها لا تكاد تجاوز دائرة غيرها من الخطب المألوفة . وإنما أثار طارق بن زياد الحمية فى نفوس جنوده حين أهاب بهم : « العدو أمامكم والبحر وراءكم ... » لا بجمال الصورة وروعة التمثيل وحدها ، وإنما أثارها بشخصيته العظيمة ، والموقف التاريخى الذى كان يقفه . وإذ هتف نابليون فى جنود حملة ايطاليا غداة المعركة التى اشتبك فيها مع جنود النمسا فسحقهم فى سهول لومبارديا : « إن الحكومة مدينة لكم بالشىء الكثير ، ولكنها لا تستطيع أن توفيكم حقوقكم ، واليوم ترون أمامكم الثراء والمجد » . نقول إن روح نابليون وموقف الجند هما اللذان أضرما فى نفوسهم جذوة الحماسة أكثر مما أججتها كلمات نابليون . والزعيم الشاب مصطفى كامل حين أرسل الصيحة الخالدة : « بلادى ! بلادى ! لك حبى وفؤادى » تغلغلت فى نفوس المصريين ، لأنها خرجت من أعماق نفس وطنية مخلصة ، ونفذت إلى أعماق قلوب تؤمن بالحرية وتدين بالاستقلال . وإن نظريتنا لتصبح بمأمن من كل معارضة ، وبنجوة من أى نقد ، إذا ذكرت أن الخطيب العظيم يُسمع ولا يقرأ ، وأن الخطب الخالدة فى التاريخ لا تكاد ترتفع فوق المستوى العادى

كان للخطابة فى الماضى شأن أى شأن ، فقد ثلت عروشا ودكت دعائم ممالك ، وأقامت عروشا وممالك مكانها ، ونصرت أقواماً وخذلت آخرين ، وقبرت دعوات وبعثت أخرى ، ودفنت مبادئ وأحيت غيرها . وإنما تبلغ الخطابة شأوها وتصل إلى أوج مجدها إبان الثورات والفورات والهبات والانقلابات والفتن السياسية والاجتماعية وأطوار التحول والانتقال . ذلك بأن غليان النفوس وثورة الأفكار يجعل الناس كالهشيم اليابس الذى تكفى شرارة واحدة لاضرام النار فيه ، وإذا كان هذا هو شأن الخطابة فى الماضى فلا شك أن شأنها قد ارتفع ، وأثرها قد تضاعف فى عصر الديمقراطية الحديث

وفى الواقع أن الخطابة أقوى أداة من أدوات النضال السياسى والتطاحن الحزبى ، وكل حزب بحاجة إلى بث دعوته وترويج سياسته ، والهتاف بمبادئه ، وكسب الأنصار واجتذاب الأشياع . وهو يتوجه إلى جمهور متباين العقليات مختلف المشارب والمشاعر ، جم النازع والأهواء ، فلا مندوحة للخطيب عن قوة الشخصية وسحر البلاغة ، والالمام بنفسية الجماعات لبلوغ مكان الاقناع من نفوسهم . ولا بد للدعوة ، سواء أكانت

سياسية أم اجتماعية أن تبلغ الكوخ والقصر ، وتصل إلى أدنى الطبقات وأسماها . والديمقراطية الحديثة أتاحت لكل رجل مهما كانت الطبقة التي نبت فيها ، والبيئة التي نشأ بين أحضانها أن يصل بمواهبه وكفايته وملكاته وجهوده إلى أسمى مناصب الدولة ، وهو إنما يتخذ من أكتاف الجماهير سلما يصعد عليه إلى قمة السلطة وذروة المجد . أرأيت إلى لويد جورج وهتلر ومصطفى كمال وموسوليني كيف بلغوا مكان الزعامة من أقوامهم ، ومركز السلطان من شعوبهم ؟ ليس من ينكر أن الخطابة كانت أحد العناصر البارزة في تكوين نجاحهم . ولقد بات الكلام في الجماهير فناً يحرص الزعماء والقادة على اتقانه وتجويده ، وأضحى التعبير عن إجادة الكلام يدل دلالة صريحة على مبلغ القوة والسحر الكامنة في ثنايا الكلام الخلاب ، أو لا تذكر قول الرسول عليه صلوات الله وسلامه : « إن من البيان لسحرا » ؟ ثم ألا يسترعي نظرك تحولهم هذا من ملوك الكلام وذلك من أمراء البيان ؟ ولو أنك رحت تفتش في تاريخ معظم القابضين على زمام الشعوب والآخذين بأعنة السلطة القائمين على مصاير الأمم لوجدتهم من الخطباء المصاقع والمداره المقاويل . فالوزراء في انجلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من دول الغرب جلهم إن لم يكن كلهم من الخطباء المفوهين

بل لقد أصبحت الخطابة هي الوسيلة التي تسمو بصاحبها إلى أسمى مناصب الدولة ، وتبوئه مكان الزعامة من أمته ، حتى ضاق خصوم الخطباء بنفوذهم صدرا وتبرموا بتضخم سلطانهم ، فتراهم ينعون على الديمقراطية الحديثة طغيان حكومات المحامين عليهم

طغت موجة الخطابة على الأمم في العصر الحاضر حتى لترى بعضهم ينسب مصــــدر المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحاضرة إلى نقص في كفاية المتولين لزعامة الأمم الذين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بترويق الكلام ، وتنميق العبارات . ولا يرى هذا البعض دواء لداء المدنية الغربية إلا بالعـدول عن الاسترسال بالثقة إلى تجار الكلام ، وتفويض الأمور العامة إلى الفنيين من ذوي الكفايات

والمعارك الانتخابية هي الميدان الفسيح لتجلي المواهب الكلامية ، والملكات الخطابية . ولا بد من تعمق في درس نفسية الجماعات وتفهم ميول الجماهير لكفالة النجاح في ميدان النضال الانتخابي . ولذلك ترى بعض الخطباء لا يتورعون عن بذل الوعود والاسراف في العهود . بل إنك لترى بعض زعماء الأحزاب وقادة الهيئات لا تتراجع ضمائرهم أمام تصوير الخيالات حقائق والمستحيل ممكناً مستطاعاً . والنظام البرلماني الحديث يتطلب نجاح أكبر عدد ممكن من مرشحي الحزب الذي يخوض غمار المعركة الانتخابية لا نجاح فرد أو أفراد . فقـد تعددت الأحزاب والهيئات في أمم الأرض جميعاً . وإذا كانت تختلف في البرامج والميول الشخصية ، فنجاح حزب من الأحزاب بالأغلبية في الانتخابات له أهميته وخطره . فاذا كانت التقاليد البرلمانية تقضي بأن الأغلبية هي التي تتسلم مقاليد السلطة ، وتتولى زمام الحكم ، وتوجه السياسة العامة ، فنجاح هذا الحزب أو ذاك في الانتخابات له أهميته لأنه يدل على طريقة الحكم ، وأسلوب إدارة شؤون الأمة ، والطابع الذي تطبع به سياسة الدولة . وليس يستوي أن يكون على رأس الأحكام في انجلترا حزب المحافظين ، أو حزب الأحرار ، أو حزب العمال ، فلكل حزب أسلوبه في الحكم ومبـدؤه في السياسة العامة . كذلك ليس من الظواهر التي لا تسترعي النظر أن يكون على رأس الحكومة الفرنسية المسيو ليون بلوم أو المسيو بيير لافال

ودور النيابة هي ميدان يتبارى فيه الخطباء السياسيون كل يحاول كسب الأصوات وجذب الأنصار إلى جانبـه ، وإذا كان أحد البارزين في مجلس العموم البريطاني قد قال : « إن الخطب البرلمانية تغير رأيي ولكنها لا تغير صوتي » ، فلا يمنع أن للخطابة شأناً أي شأن في مجالس النواب ، أو لم يكن كليمنصو يسقط وزارة بخطبة حتى لقبه مواطنوه الفرنسيون بالنمر وأسموه « هدام الوزارات » ؟ أوليس ينقذ سـفينة الوزارة من الغرق خطبة من تلكم الخطب الخالدة الموفقة ؟ أرأيت كيف أن بريان يوم ضيق عليه خصومه الخناق واستجوبوه في مجلس النواب عن تصرفه إزاء العمال المضربين حين أنذرهم بالتجنيد إن لم يكفوا عن الاضراب ، نقول أرأيت كيف أن بريان انتزع تصفيق المجلس وحصل على قرار الثقة بوزارته حين لوح بيده صائحاً من أعماق نفسه : « هذه يدي فانظروا إن كانت تلطخها قطرة من الدماء ! »

وهل من يجادل فى أن القادة فى المجالس النيابيـة يتجاذبون الأغلبية ، ويبذلون الجهود الجبارة لانحياز الأنصار إلى صفوفهم ؟ بل إن غزو السلطة والتنازع على الحكم وشهوة السلطان ، لتهدد فى بعض الأمم بالتقلقل الوزارى ، والخطابة بلا ريب ، سلاح من أسلحة النضال

ولا تستطيع المعارضة أن تؤدى واجبها فى النقـد البرىء النزيه حيال الأغلبية القابضة على زمام السلطة إلا بالـكلام . بل لا يستطيع أى مجلس نيابى أن يقوم بواجبه المقدس فى الاشراف والهيمنـة على السلطة التنفيذية بغير الخطب الداوية . صحيح أن خطباء المجالس لا ينبغى لهم أن يحرصوا فى خطبهم البرلمـانية على ارضاء الجماهير وتملق شعور الجماعات ، وإنمـا لا بد لهم من الـكلام المستمد من الشعور ومن الدرس العميق ومن مصلحة البلد ليؤدوا أمانة النيابة عن الأمة . لقد كان خصوم لامرتين يتهمونه ظلماً بأنه « يتكلم من النـافذة » : أى يرمى بخطبه البرلمانية الى إسماع صوته للجماهير خارج المجلس . ولـكن الرجل كان بريئاً مما افتروا عليه ، وإنما كان حراً فى عقيدته ، مستقلاً فى رأيه ، غير فان فى شخصية أحد ، ولا واقع تحت سلطان حزب من الأحزاب ؛ ولذلك كنت تراه تارة يؤيد بيتر ، وطوراً يؤيد جيزو على بعد الشقة بين السياستين ، ولم يكن يأخذ عليه المنصفون شيئاً لأن الرجل جعل قبلته الحق ومصلحة الوطن

وإذا كانت الخطابة سلاح المعارضة فى الهجوم ، فهى كذلك سلاح الأغلبية فى الدفاع ؛ وليس أمتع من قراءة الخطب التى يلقيها مصاقع الخطباء البرلمـانيين فى الغرب كراً وفراً وهجوما ودفاعا ، ناهيك بسماعها ! وهل أروع وأبدع من قراءة خطب بت وفوكس ودزرائيلي وجلادستون ولويدجورج وبريان وڤيڤياني وجوريس ؟ كان عام ١٩٠٦ أول عهد كليمنصو بالدخول فى الوزارة ؛ ولطالمـا مزق النمر الفرنسى وهو فى المعارضة خصومه تمزيقا ؛ وأصبح وزيراً للداخلية وأمست سياسـته حيال العمال المضربين هدفاً يصوب اليه الحملات جماعة الاشترا كيين ، وعلى رأسهم جوريس ، وجوريس مدره مفوه ؛ بل لقد ذهب بعض المؤرخين الى اعتباره أعظم خطيب فى القرن التاسع عشر فى أوربا بأسرها . ووقف كليمنصو فى وجه العاصفة الاشترا كية لا يجد الروع سبيلاً الى قلبـه . ثم صاح صيحته : « لقد لمست فى الحال أن الحملة تنطوى على الرغبة فى ذبحى على مذبح الاشترا كية ، لـكن وا أسفاه ! فانى لست من تلك الضحايا المستسلمة ، المستعدة لتقديم أعناقها البريئـة طائعة الى سكين القصاب . إنى لأقاوم وأقاتل . إنى لأصيح وأتمرد ، وما حفزنى الى اعتـلاء المنبر إلا الرغبة فى إرسال صيحة الاحتجاج »

والمؤتمرات السياسية وغيرها هى الأخرى مجال فسيح لظهور المواهب الخطابية

على أنى أحب ألا يفهم أن قولى ينصب على الخطابة السياسية ، والخطابة السياسية وحدها ، ففى دور القضاء تتجلى الخطابة القضائية ؛ وترى بين المحامين وأصحاب الدعوى العمومية والجالسين فى كراسى الاتهام الخطباء المصاقع وأمراء الـكلام ، لـكن لا ينبغى أن ننسى أن لون البلاغة السياسية يفترق عن لون البلاغة القضائية وإن كانا يتفقان فى الغاية وهى الوصول الى مكان الاقناع من النفوس . ومن الطبيعى أن تختلف هذه عن تلك ، فالجمهور غير الجمهور والبيئـة ليست هذه البيئة . وفارق بعيد بين أن تخاطب قضاة مرنوا على سماع مختلف الـكلام حتى لا يخدعوا بالمزوق المنمق منه وبين جمهور محدود المواهب والملـكات . وشتان بين موقف محام درس ملف قضيتـه وتأهب للرد على كافة حجج الخصوم ، واستعد تمام الاستعداد لدفع اعتراضاتهم ، وبين خطيب برلمـانى أمامه خصوم ومنافسون ، وتنهال عليه الاعتراضات والمقاطعات من كل جانب . ومهما يكن من شىء فالبلاغة هى البلاغة ، وسحر البيان هو سحر البيان ، ولا بد من التدرع بالبديهـة الحاضرة والتذرع بالدرس العميق وعدم الاعتماد على شقشقة الـكلام

ولا نرى مندوحة عن أن ندرج المحاضرات العامة تحت كلمة الخطابة فالمراد هو الـكلام فى الجماهير

ولم يخل عصر من العصور من الخطباء المصاقع الذين يملـكون أعنة البلاغة . فلقد عرفت جزيرة العرب خطباء مفوهين من أمثال قس بن ساعدة الأيادى ، وعلى بن أبى طالب ، وزياد بن أبيـه ، والحجاج الثقفى ، وسحبان وائل ، وغيرهم وغيرهم . وديموستين اليونانى أبقى على الأيام من الأيام ، وشيشرون الرومانى

أبقى على الزمن الباقي من الزمن . ثم ألا تزال صيحة ميرابو داوية يوم صاح في وجه رسول الملك : « إذهب وقل لمولاك : إننا مجتمعون هنا بإرادة الشعب ولا نخرج إلا بقوة السيوف ! » . ثم ألا يزال التاريخ يذكر صيحة نابليون وجنوده : « إن أربعين قرناً تشرف عليكم من سماء هذه الأهرام » . وأخيراً أو ليست خطبة طارق بن زياد خالدة على وجه الزمان حين جلجل بكلمة الحق وأهاب بجنوده : « العدو أمامكم والبحر وراءكم ... » فأقسموا أن يقاتلوا حتى تدين لهم بلاد الأندلس أو يموتوا دون الغاية

والآن نسأل : هل الخطابة ملكة أم اكتساب ، وموهبة أم مران ؟

ولكنا نرى أن قد امتد بنا نفس الكلام الى حد نخشى معه الملل فوعدنا معك الأسبوع القادم إن شاء الله

عبد المجيد نافع المحامي

الثمرة الأولى لثورة فلسطين

للأستاذ قدري حافظ طوقان

لم تعد قضية فلسطين خافية على أحد

فلقد امتلأت الأجواء بضجيج الأمواج اللاسلكية حاملة على أجنحتها أخبار فلسطين وأنباءها ، وأصبحت ثورتها حديث الناس في مجتمعاتهم وأنديتهم ومجالسهم ، حازت إعجابهم إعجاباً أحاطه عطف وشعور وإشفاق . وقال الناس للناس : ألم تروا كيف عرف عرب فلسطين طريق الحياة فشقوها ، وقاموا بالمعجزات في نهضتهم ، وضربوا المثل الأعلى في التضحية ، ودقوا باب الحرية باليد المضرجة ، فأعلنوا سخطهم على سياسة الانتداب بالاضراب العام الشامل والاضطراب ؛ وقد مر عليهما ما يقرب من ستة أشهر ، وهم معطلون أشغالهم ومصالحهم ، ثائرون في سبيل قضية إنسانية عادلة — قضية الدفاع عن الكيان — ناقمون على من يريد إذلالهم وإخضاعهم ، عازمون على مواصلة الكفاح ، الى أن يحق الله الحق ، والى أن ترجع بريطانيا عن نواياها نحو بلادهم

لفتت قضية فلسطين أنظار العالم ، وتطلع إليها ، فشملها المسلمون بعطفهم والعرب بتأييدهم ، وامتلأت نفوسهم آلاماً لما أصاب عرب الأرض المقدسة

وقاموا متضافرين غاضبين من أجلهم يناصرونهم ويدعون الى إنصافهم ومساعدتهم ، وعقدوا الخناصر على صيانة فلسطين وحفظها ، فقويت الأواصر بينها وبين البلاد المحيطة بها ، وتوثقت العُرى واشتبكت الوشائج ، وتعهد ملوك العرب وأمراؤهم ورجالات الاسلام بقضية فلسطين تعهداً يرفع عنها الظلم النازل بها ويضمن لها كيانها العربي ويدفع عنها أي اعتداء على مقدساتها ، تعهداً أخرج فلسطين من حيزها الضيق الى حيز العالم العربي ، فأصبحت بذلك جزءاً من القضية العربية الكبرى وعاملاً من عوامل السلام في الشرق العربي

هذه هي الثمرة الأولى التي جنتها فلسطين من ثورتها وغضبتها وما كان لهذه الثورة أن تثمر هذه الأثمار لولا خاصيتان امتازت بهما على غيرها من الثورات :

الأولى أنها امتازت بالشمول ، إذ اشترك فيها جميع الطبقات كل بحسب دائرة اختصاصه ، ولم يحن الوقت لتفصيل ذلك ، ولولا هذه الخاصية لما كانت حركة فلسطين على ما هي عليه من القوة والمزعة والمضاء

والثانيـة أنها امتازت بالسموّ ، وهذه الخاصية هي التي أكسبت الثورة روعتها وجلالها وقدسيتها وجعلتها محل إكبار الشعوب وموضع دهشتهم . فقدسمت النفوس وبعدت عن الأهواء والغايات الشخصية واعتنقت مبادئ الثورة المقدسة ، فاذا العربي في فلسطين يسمو بنفسه ويرتفع بها إلى العلاء ، وإذا هو في جوّ من الروحانية نزع الأحقاد من الصدور وأحل الوئام محل الخصام ونشر ألوية المودة والمحبة والرغبة في التعاون بين الناس

وإذا هو لا يرى في سماء بلاده إلا أرواح الصحابة والصديقين والشهداء ، ولا يرى في أرض بلاده إلا دماء هؤلاء مبثوثة بين ذرات التراب ، وإذا العرب في فلسطين اليوم غيرهم بالأمس ، شغلهم الاخلاص وشغلهم حب الوطن فشغلوا العالم بما شغلهم وقالوا قولاً صريحاً إلى الأجيال لا غموض فيه ولا التواء :

لن تكون فلسطين وطنا قومياً لليهود

ولن يكون في فلسطين وطنٌ قوميّ لليهود

(نابلس) قدري حافظ طوقان

نهضة المرأة المصرية

رسالة وجوابها

رسالة الآنسة أمينة

سيدى الأستاذ فليكس فارس : —

دفعنى إعجابى الشديد بمقالتكم فى « الرسالة » الى الأقدام على الكتابة لأقدم لكم خالص شكرى وشكر زميلاتى على ما تفضلتم به (على الجنس الضعيف) من نصائح ثمينة ، ودرس عميق فى سبيل رفع مستوى المرأة المصرية

ومع أننى يا سيدى أومن بكل كلمة كتبتها تحت عنوان : «نهضة المرأة المصرية» وواثقة بأنكم درستم الموضوع من جميع نواحيه ، فانى أرجو أن تتفضلوا بالسماح لى أن أضيف مشهدين آخرين « هما مقتل الأمة ، وعلة دمارها » :

الفتاة المصرية الحديثة ضحية استبداد أهلها وضحية ضلال الرجل وغروره

المشهد الأول : أسرة مؤلفة من أب وأم وبنين وبنات ، ثقفت الفتاة منهن أحسن ثقافة ، وتحلت بأجمل ما فى الأخلاق الغربية والشرقية ، وبعد ذلك تقبر فى بيت ذويها حيث تبقى مسلوبة الحرية ، الى أن يمن الله عليها بمن يخطبها من أهلها فتصبح زوجة لمجهول « نكرة ضمت الى نكرة ، فتبدأ المآسى . . . . » فهى فاقدة حرية التصرف فى مسألة اختيار زوجها ، كما أنها مضطرة الى التسليم بمن يختار لها بعلاً كى تتخلص مما هى فيه من...

سيدى : إننى أشفق على نفسى وعليكم من ذكر بعض ماتتحمله الفتاة المصرية من آلام نفسية ومادية وهى بين أهلها . فهى دائماً فى خلاف مستمر لما بينها وبينهم من تفاوت فى العلم والتفكير والرقى ، وتعسة مع زوجها النكرة لما بينها وبينه من تنافر الأخلاق والطباع . إن الأمة المصرية اليوم فى دور انتقال من القديم الى الجديد ، ومن الاستعباد الى الحرية فى حياتها السياسية والعلمية والأخلاقية والنفسية ؛ ومن الصعب جداً التوفيق بين القديم والجديد ، ولا بد لكل دور انتقال فى حياة الشعوب من ضحية — والفتاة المصرية اليوم هى ضحية هذا التطور

المشهد الثانى : ينقسم الشباب المصرى الى قسمين : قسم لا يفكر فى الزواج مطلقاً بل يفضل أن « يتلاقى بالفتاة التى تركها وهى مثقلة بالأوصاب من أن يعيش وإياها مستنيراً بأنوار شمس الله » . وقسم يتطلب فى الفتاة المستحيل من الكمال والجمال والمال ، وأهمها المال ، فيجعل نصب عينه الزواج كصفقة مالية فيبحث عنها أين كانت ؛ وزواج أساسه المال هو بالطبع بدء حياة الشقاء للزوجين

أراك يا سيدى بالرغم من دفاعك عن المرأة ومعالجة مسألتها معالجة صحيحة قويمة تلومها لنزولها إلى ميدان العمل . اسمح لى يا سيدى أن أقول إن المرأة المصرية الحديثة لم تتمرد مطلقاً على وظيفتها الطبيعية . فانها بالرغم عن ثورة نساء العالم الغربى المتمدين ومطالبتهن بالمساواة فان المرأة المصرية ما زالت هادئة وادعة لا تهمها إلا شؤون بيتها وأولادها أو علمها وثقافتها — قانعة بكل ما يأتيها الزمان من سعادة أو شقاء . تقول يا سيدى « إن المرأة المترجلة الضلول ليست هى من نرجو لأحياء الأسرة وخلق الأمة الحية » وأظنك تقصد بالمترجلة المرأة العاملة . إن المرأة يا سيدى لا تنزل إلى ميدان العمل إلا إذا ألزمتها الحاجة القصوى إلى ذلك . أؤكد ذلك باختبار شخصى كما أننى شاهدت حالات كثيرة كان الدافع فيها لخروج الفتاة إلى العمل الاضطرار

إن الفتاة المصرية هى الوحيدة التى لم تفقد أنوثتها ورقتها بالعمل ؛ فهى وإن اضطرت إلى العمل تحن دائماً إلى تكوين بيتها والاهتمام بزوج مخلص يعولها وإيجاد أطفال يصلحون لتكوين الأمة القوية أجساماً السليمة عقولاً

إنك ياسيدى تنكر على المرأة العمل ولكنك إذا بحثت فى سبب ذلك تجد أن الرجل هو الذى دفعها إليه . فهو يهملها ، أى يضرب عن الزواج ، فتضطر إلى العمل لتمضية وقتها الطويل الممل ، أو إلى كسب عيشها ، وربما كانت تعول أسرة بأسرها . كل امرأة متهتكة أو عاملة هى صنيعة الرجل لأنه هو الذى حرمها العيش ومرر حياتها فدفعها إلى ما هى فيه من بؤس

وأخيراً تقول يا سيدى : « ليس كالمرأة من يصلح المرأة أو يفسدها ... » وتقول : « ليس كالرجل من يصلح المرأة

أو يفسدها . فهو بيده كل شيء . هو القادر أن يصونها فى بيته فتصير له زوجة صالحة شريكة حياته وأم أولاده . كما لو كان أباً أو أخاً يمكنه أن يعول ابنته أو أخته فيعاملها بحنو ومحبة حتى لا يضطرها إلى السعى وراء عيشها . الفتاة المصرية الحديثة وديعة وضعيفة جداً ، فهى تهاب العمل وتأباه ولا تلجأ إليه إلا مرغمة . تجد يا سيدى اليوم ألوفاً من الفتيات المصريات المتعلمات الراقيات قعيدات البيوت ؛ فماذا يفعلن وكيف يضعن ساعاتهن التى تبدو لهن أبدية ؟ ؟ لذا تجدهن حيارى لا يعرفن كيف يتصرفن ليكسبن قلب الرجل . فان هن اشتغلن قيل عنهن مسترجلات غير صالحات للزواج ، وإن هن مكثن فى منازلهن ذقن من أهلهن كل أنواع التقريع والهوان لأنهن بائرات . فكيف الحل وأين المصير ؟ »

عفواً يا سيدى ومعذرة ، فما دعانى الى كتابة هذا إلا يقينى من إخلاصكم فى سبيل الخير العام لخدمة المرأة المصرية الحديثة . وما هذه إلا نفثة من نفثات حارة مكتومة

(قصر الدوبارة) أمينة

جواب الأستاذ فارس

سيدتى الآنسة الناهضة :

أشكر لك شكرك لما أدليت به من آراء فى مبحث المرأة ، وأعجب فيك بعاطفة تنير وفكر يحلل ما يراه ظلماً وارهاقاً . وقد حقّ على كل عربى يتوق إلى إحياء حضارته أن ينحنى إجلالاً أمام الرجولة فى خُلق فتاة قومه ، كما حقّ له أن يرد جموح الترجّل فى حياتها الاجتماعية

إن ما فاتنى ذكره فى مقالى (نهضة المرأة) من محن الفتاة المصرية خاصة والعربية عامة لم يفته إيلامى وإيلام كل مفكر وطنى لا تفتح الحياة جرحاً فى كيان قومه دون أن يشعر بذلك الجرح فى صميم فؤاده . وما اصطدام الفتاة بمن وبما حولها ، وتعارضُ حياتها وما استقرّ فيها من الحوافز شعوراً وتفكيراً إلا من أعمق هذه الجراح وأخطرها عاقبة وأصدقها إنذارا

إن ما تلفتيننى اليه ، أيتها الآنسة الفاضلة ، يتناول جزءا من بحث كامل فى حالة المرأة أوردته فى فصل (منابت الأطفال) فى كتاب رسالة المنبر إلى الشرق العربى ، ولكنتُ أكتفى بهذه الاشارة لولا أننى أعلم أن كل معضلة اجتماعية لها منافذها العديدة يتطلع اليها المفكرون كلٌ من موقفه الخاص ، فلا يمكن للحلول التى يوردها أى كاتب اجمالاً فى أية قضية اجتماعية أن تشمل جميع دقائقها وأنواعها ، لذلك رأيت من واجبى الوقوف معك أمام ما تبين لك من أعراض الداء لأحاول معالجته جهدى

إنك ترين أولاً أن الفتاة المصرية ضحيةُ استبداد أهلها فعلامَ يمكن أن يقع الخلافُ بين فتاةٍ وأهلها ؟

إنه إن وقع على طُرق المعيشة فى البيت ، من حيث المأكل والملبس والرياش ، فلا أحسب الأهل معارضين ابنتهم فى كل تحسين تريد إدخاله ، إذا هى لم تتجاوز حدود طاقة العائل ، وليست المسألة فى هذا الأمر من قبيل اصطدام الجديد بالقديم ، بل هى مسألة تقدير بين ما يمكن الحصول عليه والطاقة المتوفرة . وللفتاة الرأى وليس لها الحكم فى هذا ، ولا أعتقد أن فى العالم آباء وأمهات يضنون على فلذة أكبادهم بما يرونه ضرورياً . فاذا كان هنالك أبٌ يجود على نفسه ويحرم رعيته ، وهى وديعةُ الله بين يديه ، فمثل هذا الأب مسخٌ لا يصح أن يتخذ أساساً لبحثٍ اجتماعى

لقد لاح لك ، يا سيدتى ، أن سوء التفاهم ناشئٌ من التطور ، وأن الفتاة هى الضحية بين رقيها وجمود أهلها ، أما أنا فيلوح لى أن فى وصف كل قديم بالجمود ، ووصف كل جديد بالرقى على الاطلاق خطأ قد يكون هو السبب فى ازورار الأبناء عن الآباء فى هذا العصر وفى كل عصر ، فالحقيقة التى يقع الخلاف عليها إنما هى حقيقة لا دخل للقديم والجديد فيها ، لأن الحقيقة قد تكون فى أحدها دون الآخر أو فى كليهما ، ولا يمكن للباحث أن يقف فى جنب الأبناء على كل حال آخذا برقيهم كبرهان على جمود آبائهم . وكثيراً ما تغتر الشبيبة بتطورها ، فاذا ما تحسبه رقياً نوعٌ من الهوس وضربٌ من الغرور . ويقينى أن ليس للفتاة من يعطف عليها عطف أمها وأبيها مهما بعدت بينها وبينهما شقة الثقافة والعلم . ومهما بلغ حب الفتاة لأبويها فانه يبقى دون حبهما لها ، ولكن قد يتلبس حب الأبوين بعقيدة لهما فى الحياة تختلف وعقيدة الفتاة فيبدو لها هذا الحب بغضاً وتحكما

واستبداداً . فاذا كان العلم والتهذيب لم يرفعا بروح هذه الفتاة إلى مرتبة الرقى الحقيقى ولم ينيلاها من النور ما تكشف به الظلام عن بصيرتها وبصائر من حولها أخذت بالظواهر فانقلبت ثائرة تطمح إلى إقناع أهلها بالعنف معتقدةً أن من حقها وقد تملّمت وجهلوا أن تصبح أماً لأبويها فلها الأمر وعليهم الطاعةُ العمياء

إن الفتاة التى لا يوصلها علمها وثقافتها إلى إقصاء الأوهام عن كل قديم وعن كل جديد ، وإلى الوقوف تجاه أهلها موقف من يحمل نوراً لا من يحمل ناراً ، لا تكون قد قطعت شوطاً بعيداً فى مجال الثقافة الحق

إن فى العالم اتجاهاً إلى التكامل بارتقاء الأنسال المتتالية ، وفى طبيعة الأبوين ما يجارى هذا الاتجاه بشعورهم الخفى بتفوّق أبنائهما ، وليس من كائن فى الأرض لا يقف فى نصف طريق حياته مدركاً أنه ضيّع الكثير من عمره ، فهو يؤمل أن يفوز أبناؤه بما فاته من الحياة . فاذا ما عرفت الفتاة هذا واستعانت على أبويها بحبهما لها ، فلا بد لها من استجلابهما إلى ما ترى إذا هى اتجهت إلى الصواب ولم تؤخذ من بهارج التجديد بما يقودها ويقود أهلها معها إلى الدمار

أما إذا كان الخلاف واقعاً من طموح الأهل إلى إرغام الفتاة فى اختيار الزوج ، فما أراه ، هو أن الآباء كانوا فى كل زمان يغالون فى حرصهم على مستقبل بناتهن فيتجاوزن بحق الاختيار الحدَّ الذى يتحصّن وراءه الاختيار الطبيعى الكامن فى فطرة الفتاة ، وعلى حرية هذا الاختيار تُبنى السعادة فى الزواج ويضمن إيجاد النسل الصحيح

وظاهرةُ هذا التحكم تصطدم اليوم بما تنبّه فى الفتاة من شعور وقد أصبحت تدرك مميزاتها الشخصية وتستجلى سريرتها . وما إخالنى قصّرتُ فى مقالى عن نهضة المرأة عند ما حملتُ فيه على هذا التحكم الذى وصفتُه تحكما فى قضاءِ الله وقدره

إننى وأنا أدرك الأسباب التى تحدو بالآباء إلى الاهتمام بمستقبل بناتهنّ ، مقدراً هذا العطف وهذا الحنان قدرهما ، لا يسعنى إلا لفت هؤلاء الآباء إلى خطورة موقفهم فى هذا الأمر فأدعوهم إلى احترام الأمانة الضعيفة ولما رجاحتها فى الذمم ، كما أدعوهم أيضاً إلى التبصر فى عاقبة الزواج المبنى على الاكراه

أى أب يقدم على إكراه ابنته على الزواج بمن تنفر فطرتها منه ، إذا هو عرف أن حفيده من هذا الزواج سيجىء الحياة معتلاً بجسمه أو مختلاً بعقله . . .

وهل فى الشرق العربى اليوم من لا يزال يقول :

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا بنوهنَّ أبناءُ الرجالِ الأباعد ؟

أبيننا من لا يزال يعتقد وهو فى القرن العشرين أن الرجل هو مصدر الحياة وأن المرأة ليست إلا مستودعاً للجنين

لو يعلم القيمون المُكرهون أية جناية يأتون بتحكّمهم فى الفطرة التى لا يسع الفتاة نفسها أن تتحكم فيها لكانوا يرعوون عن غيهم ، إذ يتضح لهم أن وأد البنت فى الجاهلية كان أقل فظاعةً من وأدها فى زواج تموت فيه حيةً لتقذف الى الدنيا بأطفالٍ تتعثر الانسانية بهم فى سيرها نحو الرقى

غير أننى لا أعتقد أن فى هذه الأيام من هؤلاء القيمين الأغرار عدداً كبيراً ؛ وإذا كان هنالك بقية منهم ، فأننى لا أعتقد أن من فتيات اليوم من تستنيم لهذا الضيم ، فان الفتاة المهذبة التى تشعر بشخصيتها لا يسهل على وليها أن يرغمها على الزواج بمن تكره ، وهى تعلم أن الشرع السامى لا يأخذ بالايجاب دون قبولها الصريح ، ولكن إذا كان الاكراه غير مباشر وكانت الفتاة تلجأ الى القبول بأى زوج للتخلّص من أهلها ، فانها فى هذا الموقف مشاركةٌ لهم فى جرمهم إذا هى تصنّعت الحب ، وتكلفت الاغواء تكلفاً لرجل يريد إدخال الحياة الى مسكنه فلا تدخل اليه إلا مبدأ الشقاء والموت

على الفتاة المثقفة فى مثل هذه الحال أن تجارى فطرتها وتتحصّن بحوافزها فلا تستسلم للتمثيل الدنىء ، لأنها إذا كانت مُرغَمةً على عدم النفور فلاشىء يرغمها على التظاهر بالحب والقبول لتسقط أبرياء فى شركٍ تكون هى الضحية الأولى فيه

ولكن هنالك من الرجال من غلظت رقابهم ، وانطمس شعورهم الى درجة لا يميزون فيها بين فتاة تميل اليهم وفتاة تنفر وتشمئز منهم . فويلٌ للمجتمع من مثل هؤلاء الرجال الذين تطفح فطرتهم بالشهوة وليس فى قلبهم من الحب إلا خياله الأسود . أولئك الذين طغت عليهم الأنانية حتى خيّل لهم أن كل فتاة يطلعون عليها بمناكبهم العريضة وفى يدهم بعض المال وبعض الحلى تخر ساجدة

أمام بهائهم وعظمة أقدارهم ، وويلٌ لبنات الأولياء المتغطرسين من رجل يحسب نفور الضحية حياء وازورارها دلالا

إن مثل هذا المخلوق لأشبه بالقابل الكهربائى لا بطارية فيه ليحس باتصال الجهاز القابل به أو انصرافه عنه . وكم من رجلٍ فى القرن العشرين يذكرنا برجل الكهف يترصد الأنثى على الطريق فيبدأ بقرع رأسها بحجر ليفقدها رشدها أولاً . . .

ولو عرف هؤلاء المغرورون عواقب اعتدائهم لا بتعدوا عمن تجول شهوتهم حولها لا رحمة بها ، وهم لا رحمة فيهم ، بل إشفاقاً على أنفسهم التى اتخذوها من دون الحق معبودا

لابدّ لنا ونحن فى موقف الباحث يشفق على المتدى فى جهله كإشفاقه على الضحية فى ضعفها ، من أن نشير ولو تلميحاً الى حقيقة أدى الجهل بها الى معظم هذه المصائب التى تقضى على الأسر وتهدّ من بنيان المجتمع

إن المرأة المُكرَهة فى زواجها لا تُضار فى جسمها ونفسها بقدر ما يُضار زوجها الباغى عليها ، لأن فى تكوين المرأة ما يساعدها على عزل قسطها من الايجاب فى وضعها السلبى ، فتقى خلاياها من أن ينفذ اليها ما هو ترياق لها فى حالة شوقها وما يصبح سماً زعافاً فى حالة نفورها كما لها أن تقى أعصابها أيضاً من الهزة الشاذّة عن طبقتها فينزلق الاكراه عليها انزلاقاً ، وعندئذ تعمل الطبيعة عملها بردّ الفعل فى جسم الرجل ونفسه وهو لا يدرى ، فكأنه لاحس المبرد يحس بالارتواء الكاذب وهو يشرب من دمه

ما أكثر من عرفت من هؤلاء الرجال الذين تزوجوا بالاغراء ، فقامت شهوتهم وأطاع الفتاة نفسها أو أطاع أهلها مقام الحب المتبادل ، فرأيتهم يباهون بزوجاتهم كأنهن تكملة للرياش الفاخر فى مساكنهم ، ثم تمرّ الشهور فاذاهم يجرّون أرجلهم جرا بعد أن كانوا يسيرون فى الأرض مرحا ، وإذا النور ينطفىء فى أحداقهم وحق الطبيعة يكتب على جباههم آية الفاشلين

وويلٌ لمن يخدع نفسه بمظاهر القبول ولا يبالى بإيجاب مايشعر به كاملاً فى سريرة من يريدها شريكة لحياته وأماً لأطفاله ،

إن هذا الرجل لأشبهُ بالتائه فى الصحراء يتوقّع فى كل مرحلة إرواء غليله من السراب يتوهج ماؤه ، يتباعد الى الآفاق كلما توهّم الوصول اليه

هذا ما نراه فى معضلة الاكراه الذى تشكو منه بعض فتيات البلاد ، وما نشأت هذه المعضلة إلا من أطماع المزوّجين وضعف المروءات فى المتزوجين

أما علاج هذا الداء فميسور بعد بيان ماتقدم بيانه إذا نفذت أشعة الحقيقة الى قلوب الغواة والطامعين ، إذ لا يمكن أن يبصر عبيدُ الشهوات ما تفتح ضلالاتُهم من مهاوٍ تحت أرجلهم دون أن يرتدعوا عن الانتحار والقضاء على أنسالهم ، ولكنّ فى الحياة كثيرين ممن اتسعت أحداقهم ولكنهم عمىٌ لا يبصرون

(تتمة البحث عن شبابنا وسبب اضرابهم عن الزواج وعن العلة فى بوار الفتيات فى مقال آخر)

(الاسكندرية) **فليكس فارس**

نبـــوّة المتنبي أيضا

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٢ —

اللهمّ إنا نعوذ بك من فتنة الرأى والهوى ، كما نعوذُ بك من سوءِ الاقتداء والتقليد

٤ — يقول الأستاذ سعيد الأفغانى فى العدد (١٧١) من (الرسالة) بعقب حديثه عن رأينا فى ردّ رواية اللاذقىّ — الذى كان قد آمنَ بنبوّة المتنبى أبى الطيب ، وأسلمَ له ، وبايعه بيعة الاقرار بصدق نبوّته ، وزاد أن أخذ البيعة لأهله كذلك : « وقد رددتُ أنا قسما كبيراً من رواية اللاذقىّ هذا لشىءٍ غير ما ذهب اليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً » . وقد وفى الأستاذ بعِدَته فأبان خيرَ الابانة عن (الشىء) الذى من أجله (ردّ قسما كبيراً) من رواية (اللاذقىّ هذا) . وهذا بيانه بعد كلامٍ كثير ، يقول : « وقد عجبتُ كل العجب من الأستاذ — وهو الناقد الأصولىّ الفنّان (أستغفر الله يا سعيد) — حين لم يدرِ لم اختصرتُ حديث اللاذقىّ ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فان الزيادات التى أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمّتَ حاجة لأدُلّ القراء على سبب إهمالها لأن تهافُتها بيّنٌ . وكثيرٌ أن تجرّدَ عليها حملةٌ كالتى نزل بها الأستاذُ الميدان ! ! تخصّص لها صفحتين من كتابه القيم ، وهو يعلمُ حفظه الله أن من أدِلّة الوضع عند المحدّثين مخالفة الواقع والمعقول كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث » اهـ

عونكَ اللهمّ ! فلستُ أدرى من أين أبدأ فى بيان تهافتِ هذا القول وتناقضه ! هذا رجُلٌ سمّاهُ أبوهُ معاذاً فكان عند الذين قرأوا حديثه « أبا عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقىّ » ، وهو فى الرواة مجهول غيرُ معروفٍ بصدق ولا بكذبٍ ؛ وقد جاءَنا هذا الرّجُل ينبئنا عن أبى الطيب خبر قدومه اللاذقية سنة نيفٍ وعشرين وثلثمائة ، فيأتى بحديثٍ طويل ممتـدٍّ ، (١) يذكر فيـه حلية أبى الطيب وصفته وسمته وحسن أدبه ، (٢) ثم يذكر حديثاً جرى بينـه وبين أبى الطيب ، فيقول له اللاذقى : « والله إنك لشابٌ خطير ، تصلح لمنادمة ملكٍ كبير ! » فيكون جواب أبى الطيب : « ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبىٌّ مرسل » (٣) ثم يذكر رسالة أبى الطيب إلى أمته الضالة المُضِلة ! وغرض رسالته ؛ (٤) ثم ما سمع من قرآن أبى الطيب الذى وصفه بقوله : « فأتانى بكلامٍ ما مرّ بمسمعى أحسنُ منه » (٥) ثم يذكُرُ عدد آيات هذا القرآن ، (٦) ثم يخرجُ إلى ذكر معجزة هذا المتنبى فى حبس المدرار (المطر) ، لقطع أرزاق العصاة والفجار ، (٧) ثم يقولُ إنه خرج مع غلام أبى الطيب ليرى المعجزة ، فلمّا استيقنها واطمأن بها قلبُهُ انفتلَ إلى أبى الطيب وهو يقولُ : « ابسُط يدك ... أشهدُ أنك رسولُ الله » فبسط يدهُ فبايعه بيعة الاقرار بنبوّته ، (٨) ثم لم ينِ هذا اللاذقىّ حتى أخذ بيعته لأهله ، (٩) ثم يقول بعد : « ثم (صَحّ) أن البيعة عمّت كل مدينة بالشام » (يا سبحان الله) ، (١٠) ثم يعقّبُ على ذلك أن معجزةَ أبى الطيب كانت « بأصغر حيلةٍ تعلمها من بعض العرب وهى (صدحة المطر) » ، (١١) ثم يزعُم أبو عبـد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقى رضى الله عنه ! « أنه رأى أهل السّكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون ذلك ولا يتعاظمونه ، حتى إن أحدهم ليصدح عن غنمه وابله وعن القرية التى هو فيها فلا يصيبها شىء من المطر » ، (١٢) ثم يقول إنه سأل أبا الطيب هل دخلت السكون ، فيقول له : نعم ! أما سمعت قولى :

مُلِثّ القطرِ ، أعْطِشْها ربوعا
وإلاّ فاسقِها السّمّ النقيعا
أُمنْسِيّ السّكونَ وحضرموتاً
ووالدتى وكِندةَ والسّبيعا

ثم يقول هـذا اللاذقى بعقب ذلك : « فمن ثمّ استفادَ (أبو الطيب) ما جوّزه على طغام أهل الشام » ، (١٣) ثم يختم حديثه بما كان يُمَخرقُ به أبو الطيب على أهل البادية بإيهامهم أن الأرض تُطوَى له ، وكيف كان ذلك ؛ (١٤) ثم يزعمُ أن أبا الطيب سئلَ فى تلك الأيام عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أخبر بنبوّتى حيث قال : « لا نبىّ بعـدى » ، وأنا اسمى فى السماء (لا) »

هذا مختصر حديث هذا اللاذقىّ ، وأنت إذا قرأته بتمامه رأيته أحمق قولٍ يعجزُ عن الاتيان بمثـله أحمق معتوهٍ لما فيه

من الاضطراب والسخف والتلفيق والكذب ، وقلة مبالاة هذا الرجل بنسبة الكفر إلى نفسه حين زعم أنه قال لأبي الطيب : « ابسط يدك ، أشهد أنك رسول الله » ولاحول ولا قوة إلا بالله

فهذه أغراض في كلام اللاذقي قد بينا لك عددها (١٤) تناول منها الأخ سعيد ثلاثة أغراض هي الثلاثة المتتابعة في تعدادنا ، وقذف بالباقيات وردها وأهملها لأنها مما (يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع) كما قال في كلمته الأخيرة ، ومن قبل ماقال في كلمته التي نشرها في (الرسالة — العدد ١٦١) : « وسأعفي نفسي من أشياء كثيرة ، وردت في (الصبح المنبي) لا يقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن » ويعني هذه الرواية عن اللاذقي

وأنا أسأل الأستاذ سعيد أن ينصف نفسه وينصفنا ، وأن يعفينا من التأويل وطلب الحجة فيما لا تأتي منه الحجة إلا متكلفة على أبعد وجه وأضل سبيل . فانظر أيها الأستاذ سعيد إما جاءك رجل بحديث قد استيقنت أن نصفه كذب قد مزج بقول غير معقول ، أفأنت مصدقه في سائر الذي جاءك به من الحديث ؟ فان قلت : لا أصدقه في سائر حديثه فقد بطل ما جاء به هذا اللاذقي كله ، لأن أربعة أخماس من حديثه مما (يرفضها العقل ويكذبها الواقع) كما قلت أخيراً : ومما لا يقبلها عقل ؛ ولا تؤيدها قرائن كما قلت أولاً . وإن شئت أن تتطلب الجدل فقلت أصدق بعضه ، وأكذب بعضه ، فأنك غير قادر على أن تنشيء لهذا الرأي حجة يلجأ اليها أو دعامة يعتمد عليها ، فان هذا اللاذقي رجل مجهول في الرواة لا يعلم حاله في صدق أو كذب ، ومن كان كذلك نظر في قوله ، فان كان الذي يأتي به من الرواية صدقاً كان ذلك مانعاً من اتهامه بالكذب إلا ببينة أخرى ، وإن كان كذباً لم تجد بداً من وسمه بالكذب واسقاط روايته كلها ، وجملة واحدة ؛ ويصبح ما أتى به كله كأن لم يرو ولم يعرف ، فلا ينظر اليه في رواية أو تاريخ ؛ فان قلت أقبل المعقول وأرد غير المعقول ، فلا بد من أن نقول لك إنك قد اعتمدت في بعض قولك على مذهب أهل الحديث في علم الرواية ، فقلت : « إن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول » ، ونعم ، فان رواية ما يستحيل أن يقع ، وما لا يأتي على وجه يرتضيه العقل ، ساقط عند المحدثين ، وهم يتهمون صاحبه بالكذب لوضع فلا تقبل له رواية أبداً ، ولو كانت صادقة ، ولو كان في قول غيره من الصادقين ما يقع عليها حرفاً حرفاً وكلمة كلمة . فهذا مذهب القوم بتمامه ، ومذهب عقلاء الناس في أمر دينهم ودنياهم . واعلم أيها الأستاذ سعيد أن القول يرد ويرفض ويكذب صاحبه لأنه غير معقول ويستحيل وقوعه ، ولا يمكن في العقل أن يطرد عكس هذه القضية : فليس يقبل القول ويرتضى ويصدق صاحبه لأنه معقول وجائز وقوعه وحدوثه ، ولست أشك في موافقتك لي على هذا ؛ إذن فليس من الحكمة ولا من الصواب ولا من العدل ولا من العلم أن تختصر حديث اللاذقي فتأخذ منه المعقول الجائز الحدوث ، وأنت ترد سائر حديثه بل أكثره ، ثم تقول عنه في عدد الرسالة (١٦١) : « وقد حفظ لنا (التاريخ) مشهداً من مشاهد هذه الدعوة (النبوة) في اللاذقية » . فليس شيء من كلام الوضاعين والكذابين مما يصح أن يعتمد عليه في تاريخ أو غيره

ثم لو نظر الأستاذ سعيد إلى هذا الحديث الذي عده (مما حفظ التاريخ من مشاهد دعوة أبي الطيب إلى نبوته) لوجد يقيناً أن هذا المختصر من حديث اللاذقي هو أيضاً (مما يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع) و (مما لا يقبله عقل ، ولا تؤيده قرائن) ، فان فيه من الوهن والضعف والتخالف والتناقض مالو تدبره الأستاذ — وهو يدرس شعر أبي الطيب ، ويصور منه نفسه وطبائعها وغرائزها — لعلم أنه موضوع متكلف ليس فيه من الصدق شيء ؛ ولم أردك بسوء أيها الأخ إذ قلت في كلمتي السابقة إنك تأخذ من الكلام ما تشاء ، وتدع ما تشاء ، فتزول بذلك شبهاتك

إن للرواية أصولاً لا يأتي لأحد أن يخرج عنها إلا بحجة لا تسقط عند النقد والنفض ؛ ومن أصول الرواية ألا تقبل رواية من كذب في أحاديث أو وضعها ، وإن كان سائر الذي يرويه مما يعضده فيه رواية غيره من الصادقين ، فكيف بمن يكون أمره في الحديث الواحد : أربعة أخماس كذب غير معقول ، والخمس الباقي تختلف عليه الآراء في وصفه بأنه صدق أو كذب ، أو معقول وغير معقول ، أو تؤيده قرينة أو لا تؤيده قرينة ؟ ألا إن هذا أولى بالاسقاط والرفض والنبذ حيثما ثقف ، وكذلك هو حديث هذا اللاذقي المجهول

٥ — وقد أراد أستاذنا سعيد أن يوهم قارىء كلامه أننا اتخذنا رأينا — فى نسبة أبى الطيب إلى الشجرة العلوية المباركة — (برهاناً) على رد رواية هذا اللاذقىّ المجهول لقولنا فى ص ٤٨ « أما اللاذقى فمجهول ولا يتيسر لنا نقد سنده ، ولكن مما لاشك فيه أن اللاذقية التى نسب إليها ، كانت لوقت أبى الطيب موطناً لفئة من العلويين ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة فى التاريخ العربى كله » . فلذلك لم يتورع عن بتر بقية كلامنا ، فقد قلنا بعقب هذا وبغير فصل « فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصّر فى أصل الرواية على وهنها وتضاربها ، وتهالك معانيها التى يفسد بعضها بعضاً كما سترى » . فلو كنا قد اتخذنا هذا (برهاناً) لقلنا مكان (فلا بأس) (فلا بد) ليستقيم المعنى الذى أراده لنا الأستاذ الجليل . ويخيل إلىّ أن الأستاذ سعيد سيحاول أن يقع فى هذا الكلام بالتأويل . فأنا أضرب له المثل على الفرق بين هذا وذاك ، ليدع هذا الذى يعمد إليه من أفانين الكلام . فانك لو أردت أن تعلم جاهلاً دين الاسلام بعد إيمانه بصدق القرآن وأنه وحى من العزيز الحكيم ، ثم أخذت تفهمه أن الصلاة عمود الدين وأن الله أمرَ بها عباده ، والبرهان والدليل على ذلك قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » ، فلست تقول له بعقب ذلك (فلا بأس) من الصلاة ، وإنما تقول : « فلا بد من الصلاة »

ولو تدبر الأستاذ قليلاً كما سألناه فى كلمتنا الأولى (عدد الرسالة ١٦٧) لعلم أن الاشارة فى هذا الموضع هى إلى الذى قلناه فى كتابنا ص ١٧ — ١٩ من أنه كان بينه وبين العلويين[1] عداء وحفيظة بلغ من أمرها أنهم أرصدوا له قوماً من السودان عبيدهم فى طريقه بكفر عاقب ليقتلوه — وذلك مُنصَرَفه من طبرية سنة ٣٣٦ — حتى إن أبا الطيب لم يُحجم عن التعريض بهم ، وهو يمدح كبيراً من أولاد علىّ رضى الله عنه بالرملة هو أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى فقال فى مديحه :

أتانى وعيدُ (الأدعياءِ) وأنهم ... أعدُّوا لىَ السودانَ فى كفر عاقب
ولو صدقوا فى جدِّهم لحذرتهم ... فهل فىّ وحدى قولهم غير كاذب

(١) قد صرفنا القول فى كتابنا ونحن نذكر العلويين ، ونريد بذلك العلويين نسباً ، والعلويين مذهباً (الشيعة) ، إذ لم نجد ضرورة للتفريق بين هؤلاء وهؤلاء . وليس يخفى على القارئ موضع هذا وذاك .

وقال فى مدح الأمير ابن طغج ، وقد صحبه أبو القاسم العلوى وأقام معه فى الرملة يحضر مجالسه

وفارقتُ شرَّ الأرض أهلاً وتربة ... بها (علوىٌّ) جدُّه غير هاشم

فلهذا ولغيره من آثار العداوة والبغضاء بين أبى الطيب والعلويين (مذهباً أو نسباً) قلنا فى ص ١٧ « إن عندنا فى أقوال العلويين المعاصرين عن أبى الطيب سبباً للتوقف دون التسليم »

هذا على أن عندنا من الأسباب ما يحملنا على رد رواية العلويين فى أخبار أبى الطيب ، وقد ذكرنا بعضها متفرقاً فى كتابنا ، وبعضٌ آخر لم نذكره لضيق الوقت ، ورغبة فى اختصار القول ، واعتماداً على فطنة القارىء إذ كان فى وضع كلامنا ما يُشير إلى أطرافه

٦ — قلت فى كلمتى التى نشرتها الرسالة (العدد ١٦٧) إن الأخ سعيد قد لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات التى رويت فى نبوّة أبى الطيب ، فيما يزعم ، إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلانٌ ورواها المعرى — وهو الحجة الثبتُ — وقلنا إن الحكم — بأن رواية المعرى أو غيره من العلماء — هذه الأخبارَ مما يصححها أو يرجّح الصدق فيها — حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، ولم أقل ذلك إلا لقول الأستاذ فى عدد الرسالة (١٦١) ، « وسأعتمد فى قص الحادث (يعنى النبوّة) على أبى العلاء خاصة ، لفضله وتحريه وقرب زمانه » ، وهذه الكلمة الأخيرة وحدها تدل على أن الأستاذ يَعُد ما يرويه أبو العلاء عن أبى الطيب مما ترجحُ فيه كفة الصدق على كفة الكذب ، ولكن الأستاذ لم يرضَ قولنا هذا ، فعادَ يقولُ فى كلمته الأخيرة : « هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمل : فأنا لم أدّع للمعرّى تنزّهها عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر فى كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة بل هو مما ييسر للمحقق وسائله » اهـ . وأنا لا أحبُّ أن أكثر القول على أستاذنا فى نقد كلامه هذا بل أقولُ : إن كان فى يدكَ دليل على صحة هذه الروايات والأخبار فأظهرهُ ولا تكتمهُ ، فمن قبلُ ما قلنا لك فى مقالنا بعدد الرسالة (١٦٧) إن « الخبر لا يستحقّ صفة الصدق إلا بالدليل الذى يدُل على صدقه ، فاذا لم تجد الدليل على صدقه ذهبت عنه صفة الصدق وبقى موقوفاً . فاذا اعترضت الشبهات من قبل روايته أو درايته مالت به الشبهة

إلى ترجيح الكذب فيه ... » . ولكن أستاذنا لم يرد أن يقف عند هذا القول ، وزعمه من (التهويل) ويقول : « وما التهويل بغمن عن أحدنا فتيلاً » ، وزعم أنى « لم أجد بأساً فى أن أعرفه أن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب ، وأن وأن ... الخ الخ مما يدرسه الطلاب المبتدئون » . وظن أن فى هذا القول مذهبا له عن الاتيان بدليله على صدق الروايات التى يزعم أنها من التاريخ وأنها صحيحة . ويخرج من هذا وبدعه ليقول : « إننا نبزنا روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليلنا عليها إلا أنها كذب وبطلان » . وليس الأستاذ يبالغ من كلامنا مبلغا يسقطه أو يحز فيه إلا أن يثبت لنا أولاً صحة هذه الروايات ، ومن أين لأحد أن يسلم بصحتها ويقتنع بأنها خالية من الكذب والوضع وسوء القصد فى الاساءة والتشهير والتسميع بأبى الطيب ؟ فاذا فعل ذلك فقد بلغ أول الحق ، وكان له أن يجبهنا بما شاء من القول مصرحاً وممرضاً . فالدليل الدليل أيها الأستاذ سعيد

٧ — ومن أعجب أمر الأستاذ سعيد أنه ينشئ من الكلمة الواحدة ترد فى الكلام جملة لها معنى يوجهه هو كيف أراد على ما خيلت ، ويضعها حيث شاء من الحديث غير متهيب ولا متلفت عن يمين وشمال ، ولو خرج بالكلام الذى أمامه من العربية ... كما مر بك فى كلمتنا السابقة . فمن ذلك أنه وقف عند قولنا فى الكلمة الأولى (الرسالة عدد ١٦٧) : « وترك المعرى الشك (فى تلك الأخبار) أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزه عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا ينفى صفة الصدق عنه » . وليس يذهب عن أحد من القراء أننا أردنا بهذا الكلام أن ندفع ظن من يظن — أى الناس كان — أن توقفنا دون التسليم بما رواه المعرى فى خبر نبوة أبى الطيب ، أو نقدنا له ، أو تكذيبنا أو إسقاطنا لما روى — يكون طعناً فيه ، أو يعد مما يوجب نسبة الكذب إلى أبى العلاء . ولكن الأستاذ سعيدا ترك هذا ، وأراد أن يبالغ وينشئ حول كلامه (خطا من النار) ، فأخذ كلمتنا : « وليس المعرى بمنزه عن الخطأ والغفلة » وردها بقوله : « وأنا لم أدع للمعرى تنزهاً عن الخطأ » ، فكيف — أيهذا الأستاذ سعيد — تزعم أننا قلنا إنك ادعيت للمعرى تنزهاً عن الخطأ وكيف تخرج هذا الذى ذهبت إليه من كلامنا ؟

ليعلم الأستاذ أنى لا أحفل بمثل هذا ، ولا أنظر إليه ، ولا أقف عنده ، ولكنى أبينه له ولغيره ، ليعلم أن كل أحد يستطيع أن يقول ما يشاء فيما يشاء على أى وجه يشاء . . . ولكن ذلك لا يجوز على أحد ، ولا يغفل عنه من قرأ الأول والآخر ، ونظر وفهم وجمع وعرف معانى الكلام ، وكيف خرج وإلى أين ينتهى ؛ وليعلم أيضاً أن كل أحد يستطيع أن يفهم من الكلام ما يشاء على غير قاعدة من منطق أو عربية ، ولكن فهمه لا يكون حجة يأتى بها الناس ويظهر بها عليهم ، ويحاول أن يسقط أقوالهم بها . لابد للكلام من منطق عقل وفقه عربية حتى يفهم ، وإلا أصبحت المعانى فوضى لا ضابط لها ولا وكيل عليها ولا حفيظ

وللقارئ أن ينظر إلى فعلات الأخ سعيد هذه فقد قلنا فى كلمتنا الأولى (الرسالة عدد ١٦٧) عند رد اعتراضه : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل (الرواية) ، وقد أتى به القوم ليعضدوا قولهم فى خرافة النبوة ... الخ » فجاء ينقل هذا فى كلامه مرتين هكذا « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل (الرواة) » فنحن نقول : « الرواية » ، وهو يقول على لساننا « الرواة » وبين اللفظين فرق « كبير » فى عربيتهما وفى موقعهما من الكلام . ولو أردنا الذى أراده الأخ سعيد لكلامنا لقلنا « من أكاذيب الرواة » . ولو رجع الأخ إلى كلامنا الذى أعقب هذه الكلمة لعلم لم قلنا (أباطيل الرواية) ولم نقل (أكاذيب الرواة) . هذا على أنى أقول أيضاً إن الذى زعموه من خجل أبى الطيب حين كان يسأل عن أمر لقب المتنبى — هو من أكاذيب الرواة . فاذا أراد الأستاذ أن يعرف من هم هؤلاء الرواة ، فليرجع إلى الكتاب الذى نقل عنه هذا الكلام ، فينظر من هم ؛ ومع ذلك فليس تغنى معرفة الرواة شيئاً فى هذا الأمر . وتعب أن أمضى على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل كلامهم ، فعليه أن يريحنا قليلاً بتدبره فى كلام هؤلاء الناس ، والنظر فى معانى رواياتهم بالذى توجبه العربية ، مع المقارنة بين هذه المعانى المختلفة المتباينة فعند ذلك يعرف كيف كان التناقض فى الرواية ، وكيف هدمت الروايات بعضها بعضاً فى خبر نبوة أبى الطيب

وبعد ... فان فى كلام الأستاذ من وجوه التهافت ما لا تطيعنى

النظرية العامة للالتزامات
فى الشريعة الاسلامية*
للدكتور شفيق شحاته

إن صرح القانون مشيد على فكرة الالتزام . وقد ارتدت هـذه الفكرة فى القانون الخاص رداء خاصاً ، حيث ظهرت فى صورة الحق الشخصى ، المقابل للحق العينى . ثم هى فيه ، تخضع لقواعد عامة ، تحكم مختلف المسائل التى تعرض للالتزام . وقد استخلص هذه القواعد فقهاء الرومان ، ونقلت عنهم فى القوانين المستمدة من التشريع الرومانى . وجمعت هذه القواعد ، النظرية المعروفة بالنظرية العامة للالتزامات ، وهى نظرية أجمعت الآراء على أنها من خير ما أنتجت قريحة الرومان القانونية

أما فى الشريعة الاسلامية ، فقد وجه الفقهاء جهودهم نحو الحلول الفرعية ، ولم يحاولوا وضع قواعد عامة تحكم الالتزام فى

(*) مقدمة الرسالة القيمة التى تقدم بها إلى كلية الحقوق المصرية لنيل الدكتوراه

(الرسالة) على الافاضة فيه ، ولا يواتينى الزمنُ على إزهاقه من أجله ، ولكنى أنصح للأخ ألا يلجأ إلى ضروب القول التى يخرج بها الكلامُ عن حده إلى مجاهل من المغالطة والاعتراض ، وإرادة الغلبة ، واتباع الظن ، وفتنة الرأى ، والاصرار على خطارات النفس . وليعلم الأستاذ أنى لست ممن يغفل عن مواضع التحريف فى القول ، أو الاحالة فى الحجة ، أو الفساد فى التأويل ، فان أراد أن يعود الى الحديث والكتابة ، فليعد على مذهب مرضىٍّ متبع معروف غير منكر . فان فعل فما أنا بالذى يسوءه أو يغضبه ، وما أريد من شىء إلا أن أهتدى إلى الحق على يدىّ من كان له فضلُ السبق ، وحسنُ الحديث ، وكمالُ الغلبة بالحق . . .
هذا وقد أعفينا الأستاذ من كثير قولٍ فى الذى جاء فى مقاله الأخير — لو أردنا أن نكيل له من جرّائه بمثل كيله لفعلنا فأشوينا . . . ولكن

عبأت له حِلمى لأُكرمَ غيره وأعرضت عنه ، وهو بادمقاتله

محمود محمد شاكر

مصادره ، وفى آثاره ، وفى طرق انقضائه . على أن بالشريعة الاسلامية كنوزاً من الأفكار والآراء والتصويرات القانونية ، فاذا نحن أردنا الانتفاع بها يتحتم علينا أولاً الوصول إلى القواعد العامة التى تحكمها جميعاً ، إذ لا يقوم العلم إلا على أساس من القواعد العامة

ثم إن الفقه الاسلامى ، قام وترعرع فى مدى أجيال عديدة ، وساد فى مختلف الأقطار التى جمعتها المدنية العربية ، تلك المدنية التى تركت آثاراً خالدة فى جميع مناحى العلوم والفنون . فليس من الغريب أن يكون أثرها كذلك فى ناحية التفكير القانونى . وفى الواقع قد ظهر هذا التفكير فى صورة من أبهى صوره ، ولا تزال آثار هذا التفكير من أنفس ما يدخر الشرق من التراث العلمى

فمن العقوق إذن أن يهمل هذا التراث ؛ ومن العناية به أن يعمد إلى التأليف بين فروعه . ففى جميع الأمم وفى مختلف العلوم عمد العلماء إلى التركيب بعد التحليل ؛ وقد قام الفقهاء بقسطهم الوافر من التحليل ، فيتعين البدء من حيث انتهوا ، وبهذا العمل نكون قد وصلنا ما كان قد انقطع . فعسى أن يكون الاهتمام بالآثار القانونية لفقهاء المسلمين على هـذا الوجه فاتحة عصر إحياء لتشريع لا يمكن أن يكون غيره ملائماً مثله فى بلاد كانت مهداً له ومرتعاً

وإن فى هـذا العمل تحقيقاً كذلك لغرض من أغراض التشريع المقارن ، وقد أعلن المؤتمر الدولى المنعقد بلاهاى فى سنة ١٩٣٢ ، ما يعلقه من الأهمية على التشريع الاسلامى ، كمصدر من مصادر التشريع المقارن

١ — طريقة البحث

١ — الطريقة الموضوعية

لا يخفى أن القيام بهـذا العمل يقتضى من الباحث اعتماد خطة معينة ، فقد لوحظ أن الخطة التى اتبعت للآن لم تكن مما ترتضيه دائماً القواعد العلمية

فانا نجد من جهة أن من تصدى من العلماء الغربيين لمعالجة هذه المسائل لم يصل أبداً إلى تفهم روح النصوص ، وهم فى الغالب ، يجهلون أيضاً اللغة التى وردت بها هذه

النصوص . أما المستشرقون ، فلا نجد بينهم القانونى الفقيه الذى سرعان ما يلحظ ما للنص من خطر

ومن جهة أخرى ، نرى المؤلفين الشرقيين تنقصهم الروح العلمية ، ومؤلف (ساڤاس باشا) على شهرته مثل ناطق لهذا النقص

وكذلك الأمر فى الرسائل والمؤلفات التى حاول فيها مؤلفوها التقريب بين الفقه الاسلامى وبين آخر ما وصلت إليه اتجاهات المحاكم فى عصورنا هذه ، فما كان من تأثير حماسهم الصبيانى إلا مسخ الشريعة الاسلامية

فمن المتعين إذن أن نضع فى مواجهة هؤلاء وهؤلاء الطريقة التى نرى وجوب اتباعها ، وقد سميناها الطريقة الموضوعية التاريخية لأنها تتناول موضوعات البحث وتقررها كما وردت فى النصوص مراعية فى ذلك منتهى الأمانة ، ثم هى تتتبع هذه النصوص على مدى الأجيال لتتلمس تطورها التاريخى . فهى قائمة على فكرة أساسية ، ألا وهى أن التشريع كائن حى وليد الهيئة الاجتماعية ، ينمو بها ولها ، ويتطور معها ، ويجمد عند جمودها

وهذه الطريقة تعمد لذلك إلى المسائل . فقد رأينا أن التشريع الاسلامى لم يعن إلا بالمسائل ، فاذا أردنا تفهمه على حقيقته ، وجب أن نتقصى المسائل ونستوعب ما ورد عليها من الحلول ، فتكون هى الحجارة التى بها يتم بناء هيكل النظريات بصرف النظر عما حشر فى الكتب حشراً لتفسير هذه الحلول إذا كانت هذه التفسيرات لا تتفق والواقع

فمن يتصفح كتب الفقه يتبين أن التفسير الذى يرد على الحلول لا يكون صادراً دائماً عن مبادىء عامة ، متمشية فى جميع أجزاء الجسم الواحد ، بل هو يرمى إلى تبرير الحل الذى ورد بشأنه فقط ، تبريراً يستند سواء إلى فكرة مقبولة عقلاً ، أو إلى أن حلولاً مشابهة قد جاءت فى مناسبات أخرى

ولكن هذا التبرير المباشر لا يمكن اعتباره كافياً ، إذ قد تكون هناك مسائل أخرى مماثلة أيضاً ولم تحل على نفس الشكل . فالتفسير الصحيح يكون بايراد التعليل الذى ينطبق على أكثر المسائل المتشابهة ، مع ذكر ما دعا إلى الأخذ بغير ما يقضى به فى مسائل معينة أخرى

وهذه الطريقة تصل بنا إلى العلل الرئيسية والأخيرة للحلول ، وهذه العلل وحدها هى التى يقبلها العلم ، ويجب اعتبارها دون غيرها وإحلالها محل ما استبعد من التعليلات

وقد تتعدد فى كتب الفقه الطرق لتبرير الحل الواحد . أما تعدد الأدلة فأمر لا شائبة فيه لو كانت الأدلة جميعها تتضافر لتكوين مبدأ واحد يقضى بالحل موضوع النظر

ولكننا نجد فى الغالب الطرق لا الأدلة تتعدد ، وكل طريق منها صادر عن فكرة قد تكون متنافرة مع الفكرة التى أوحت بالطريق الآخر

ففى الخطة التى نقول بها تلزم الاستعانة بالروح العامة للتشريع ، لاستبعاد ما يتبين فضوله من الطرق . فاذا ما اكتفى بأحدها وجب الاحتفاظ به فى جميع المناسبات ، حتى إذا ما اضطر الباحث اضطراراً إلى الرجوع إلى الطريق الآخر فى حالات أخرى معينة وجب اعتبار هذه الحالات استثناءات لما سبق تقريره كمبدأ عام ، وقد تتم هذه الحالات عن اتجاه التطور فى التفكير

وكذلك التكييف القانونى النظرى لا يخضع دائماً عند الفقهاء لفكرة واحدة . صحيح أن تعقد الظاهرة القانونية قد يحول فى بعض الأحوال دون تصويرها على أساس الفكرة الواحدة . ولكن فى هذه الأحوال يقتضى منا المنطق أن نغلب العنصر المسيطر على هذه الظاهرة ؛ وعند تصويرنا لها نلاحظ ما شذ على تكييفنا القانونى من الحلول ؛ ولا يلجأ الى ذلك إلا إذا لم يعثر فى التشريع الاسلامى نفسه على تصوير ينتظم النظرية بما حوته من الحلول جميعاً

يتضح مما تقدم أنه إذا كان تقيدنا بالحلول وثيق العرى فالأمر بخلاف ذلك بالنسبة للشروح ؛ ولا يخشى من هذا التحرر على صحة تفهم روح التشريع ، فقد قلنا إن التشريع الاسلامى قائم على هذه الحلول ، وروحه فيها وحدها

على أن هناك محظوراً آخر . فانا إذا نحن فرضنا على التشريع الاسلامى أفكاراً غريبة ، اقتضتها أساليب التشريعات التى نشأت فيها نكون قد مسخنا هذا التشريع بالفعل

فيلزمنا إذن التجرد من أساليب هذه التشريعات ، وإذا

نحن حاولنا الوصول الى المبادئ الأوليـة ، فلن تـكون إلا تلك التى يتطلبها كل تشريع لمجرد كونه وليد العقل البشرى ، وهو واحد مهما اختلفت الأمكنة والأزمنة

وذلك كله لا يحول دون الاستعانة فى عرض المسائل بما جرينا عليه فى بحث قوانيننا الحديثة على أن يكون هذا إطاراً خارجياً ، وعرضة للتحوير وفقاً لمقتضيات التشريع الاسلامى

لذلك لن نعير كثيراً من الاهتمام ما حوته الكتب الفقهية من الأمثال والأصـول ، فهى فى الغالب عبارة عن مبادىء يقضى بها المنطق أو العـدل ، لا نفس النصوص التى وردت بمناسبتها . ونذكر هنا أن مما استنفد نصيبا من نشاط الفقهاء مقارنة الحلول بعضها ببعض لاظهار الفروق والأشباه ، على أنهم فى هذا كله قلما يرتقون الى المبادىء الأولية العامة

أما علم أصول الفقه فهو شديد الاتصال بعلم الكلام ، ولا يفيد فى دراسة موضوعية للنصوص ، فهو أشبه بفلسفة القانون منه بالقانون

وقد قرب فقهاء الحنفية بينه وبين الفروع ، ومع ذلك يقول (الحموى) (أنظر « الغمز » جـ ١ ، ص ٢٤٥) إنه : « لا عبرة بما فى كتب الأصول إذا خالف ما ذكر فى كتب الفروع كما صرحوا به »

وكذلك لا يلتفت فى دراستنا الموضوعيـة الى مصادر التشريع ، ذلك أن « القرآن الكريم » ، لم يأت إلا بقليل من الآيات فى موضوع الالتزامات ، وهى فى الغالب من قبيل القواعد الأخلاقية

أما « الأحاديث النبوية » ، فهى أيضاً قليلة العدد ، وسيؤخذ بها على أنها نصوص إذا جاءت بحـلول معينة لبعض المسائل . ولن نتعرض لمـا وجه من الطعون إلى بعض هذه الأحاديث ، فهى لمجرد ورودها تنم عن اتجاه خاص فى التفكير

فالعبرة إذن دائماً بالمسائل وأحكامها . ومما يؤيد وجهة النظر هذه أن فى عقد البيع قد وردت أحاديث متعددة فى صيغة النهى ، وقد فرع الفقهاء عليها البطلان فى بعض الأحوال ، ومجرد الـكراهية فى البعض الآخر بالرغم من اتحاد الصـيغة فى جميع الأحوال

يتضح من ذلك أن التشريع الاسلامى فى موضوع الالتزامات يفقد صبغته الدينية

ونذكر هنا أن هذا التشريع لا يمنع مصدره الدينى من اعتباره تشريعاً بالمعنى الصحيح ، ذلك أنا إذا نظرنا إلى ماهية القاعدة القانونية فى هذا التشريع ألفيناها تتضمن جميع العناصر التى تلاحظ فى القواعد القانونية

من ذلك ابتناؤها على المظـان ، وابتعادها عن التوغل فى الدوافع النفسية ؛ ومن ذلك أيضاً الجزاء المترتب على مخالفتها ، فقد فرق الفقهاء بجلاء بين ما هو واجب قضاء ، وما هو واجب ديانة

أما « القياس » وقد اعتبروه مصدراً من مصادر التشريع ، فهو ، فى الواقع ، عملية من عمليات الاستدلال يقوم بها العقل ، إذا أراد الوصول الى حكم عن طريق الاستنتاج

وهذه العمليات العقلية تؤدى إلى وضع حدود وتقسيمات ، وشأن علم الفقه منها شأن سائر العلوم الأخرى

وإذا استعمل العقل فى مهمة استنباط الأحكام ، فقد يؤدى به منطقه الجامد إلى حلول قد تتعارض مع فـكرة العدالة المطلقة أو مع بعض الأحاديث الصريحة فيلجأ الفقهاء عندئذ إلى مايسمونه « الاستحسان »

فالحكم الذى يقضى به الاستحسان ليس فى الواقع إلا استثناء اقتضته قواعد العدل والانصاف أو أسباب أخرى

وقد يستعمل الاستحسان لادخال ما استقر عليه «الاجماع» فى التشريع

وقد يتعين اعتباره كالعادة والعرف ، عاملاً من عوامل التطور ، إذا تبين أن التشريع الاسلامى قد تأثر بالفعل بواسطته . وهذا هو موضوع الطريقة التاريخية

(يتبع) شفيق شحاته

الجوائز الأدبية ومغزاها

بقلم ابراهيم ابراهيم يوسف

ستصبح الجوائز الأدبية يوماً ما ، وإن بعد ، موضوع رسالة أحد طلاب العلم يتقدم بها إلى إحدى الجامعات لينال أجازة « الدكتوراه » فى الآداب . ولا ريب فى أن مثل هذا الموضوع سيكون فى نظر أدباء ذلك الجيل المقبل طريفاً غاية الطرافة ، كما يجد أدباء هذا العصر متعة وأى متعة فى حديث التقدير الأدبى الذى لقيه أدباء القرن التاسع عشر فى أوربا وأمريكا . فقد كان تقدير الأدباء لذلك الجيل يجرى على منوال خاص . ففى انكلترا مثلاً منح الشاعر « لوريت » Laureate الذى نشأ راعياً مرعى خصيباً . ومنح الكثير من الأدباء ألقابا بمناسبة إحياء أيام مولدهم أو نحوها من المناسبات . أما تقدير الأدباء فى أمريكا فكان يجرى على منوال آخر أساسه الانتفاع الضمنى بالناحية المادية لمظهر الهبة أو المكافأة ، إذ يذكر عن « ناتانيل هوثورن » Nathaniel Hawthorne أنه عين قنصلاً لأمريكا فى ليفربول لمجرد الاعتراف بقدره الأدبى . وكذلك قلد « هرمن ملفيل » Hermen Melville مثل هذه الوظيفة ليتمكن من التغلب على ضائقته المالية . وتابعت أمريكا السير فى ذلك حتى عام ١٩٠٤ حين عين الرئيس روزفلت « ادوين أرلنجتون روبنصن » Edwin Arlington Robinson فى إدارة المكوس تشجيعاً له على النهوض بالشعر . جرى مثل ذلك على البعض فى حين أن فطاحل الأدباء للعصر الفيكتورى مثلا لم يصيبوا شيئاً من هذه الهبات ، إلا أنهم استعاضوا عن ذلك بادراك الحقيقة الراهنة التى كانت تتجلى لهم يوما بعد يوم فى زيادة طبقات القراء ، فأوحت لهم ثقتهم بأنفسهم ألا يضعوا أمانيهم فى غير المستقبل . وسرعان ما اطمأنت نفوسهم عندما صدر عام ١٨٨٠ قرار بجعل حق الطبع والنشر ملكا للمؤلف . وقضى هذا القرار على قرصنة الناشرين وسطو المغتصبين على أعمال الأدباء . وبطبيعة الحال كان تكرار نشر عمل أدبى يدر على صاحبه رزقا جديداً . ولهذا لم يأبهوا للهبات والجوائز

وأول الجوائز الأدبية التى ظهرت خلال القرن العشرين ولم تكن لها سمة التجارة هى « جوائز نوبل » Nobl فى بلاد السويد و « جائزة جونكور » Goncourt و « جائزة فمينا » Femina فى فرنسا ، والجائزة « الهوثورنية » Hawthorne فى انكلترا ، و « جائزة بولتزر » Pulitzer فى أمريكا . وظهرت بعد ذلك جوائز أخرى فى هذه البلاد وغيرها . ومهما تكن هذه الجوائز صادقة فى التعبير عن عصر بذاته ، أو عن أثرة الروح القومية ، أو هى مسألة قاصرة على المؤلف دون غيره ، فهى على أى حال جوائز اعتراف بالتفوق الأدبى

وليس من شك فى أن جوائز نوبل خلدت ذكر الفرد برنهارد نوبل Alfred Bernhard Nobel ، ذلك المخترع السويدى الذى تمكن من اكتشاف الديناميت فيما بين سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٦٦ . وكأنما أراد أن يوازن بين خطر ما اخترعه بعمل آخر فأثبت فى وصيته عدداً من الهبات ظنها مؤدية إلى القضاء على استعمال الديناميت . ولعل ذكرى السنين العجاف من حياته ، التى أضناه فيها الكفاح بعد ما زار الولايات المتحدة عام ١٨٥٠ ليعمل فى خدمة المخترع الاسكندنافى الأسبق جون إريكسون John Ericsson ، أوحت إليه بوجوب تخصيص إعانات للعلماء كى يتيسر لهم متابعة أبحاثهم ووجوب مساعدتهم حين الاخفاق . فلما واتاه الحظ حقق ذلك فى وصيته إذ أثبت فيها قبل وفاته أن فوائد ما يتركه من رأس مال يجب أن تقسم سنويا إلى خمس جوائز ، تبقى إحداها وقفاً على علم الطبيعة ، وأخرى وقفاً على الكيمياء ، وواحدة للطب أو علم التحليل النفسانى ، ورابعة تخص مشكلة السلام ، وخامسة ترصد للأدب . وتمنح جائزة الأدب سنويا كما هو نص الوصية ، « إلى الشخص الذى أنتج فى عالم الأدب أحسن كتاب حوى نزعات مثالية » . ووكل أمر اختيار ذلك إلى المجمع السويدى . والحق أن هذه الجائزة التى تتراوح بين اثنى عشر ألفاً وخمسة عشر ألف جنيه تهيء لأى أديب حياة راضية مرضية

أما جائزة جونكور فلا زالت على عهدها منذ نشأتها فى سنة ١٩٠٣ أشهى ثمرة يتهافت عليها الأدباء فى فرنسا . وهذه تمنح دون استثناء للأدباء الناشئين . وهى أرفع منزلة من مقعد ثابت فى المجمع الفرنسى . وتعد جائزة جونكور الدرجة الأولى من سلم

العلياء الأدبي . وهنالك جائزة فرنسية أخرى لها صداها في خارج البلاد الفرنسية هي جائزة فمينا . وكانت « مجلة فمينا » Femina قد تآزرت عام ١٩٠٤ مع « مجلة لافي أوروز » La Vie Heureuse على منح جائزة قدرها خمسة آلاف فرنك لأحسن رواية توضع باللغة الفرنسية في نظر لجنة الكاتبات الفرنسيات . وأنشأت هذه اللجنة النسائية عام ١٩١٩ جائزة شبيهة بتلك وقفتها على المؤلفين الانكليز لما بين البلدين من صداقة . ثم أنشأن عام ١٩٣٢ « جائزة فمينا الأمريكية » لتكون قاصرة على الأدباء الأمريكيين

وأهم الجوائز الأدبية التي تمنح في بريطانيا العظمى هي أولاً : الجوائز التذكارية لجيمس تيت بلاك James Tait Black Memorial Prizes التي تمنح في ربيع كل عام من أجل تاريخ حياة شخص عظيم أو من أجل رواية طابعها بريطاني . وعلى أستاذ آداب اللغة الانكليزية في جامعة أدنبرج أن يختار أحسن الأعمال . وثانية الجوائز « جائزة هوثرن » Hawthornded Prize التي تمنح لأحسن قصة يضعها كاتب انكليزي دون الحادية والأربعين من عمره . أما جوائز بولتزر Pulitzer Prizes فقاصرة على الكتاب الأمريكيين من ذوي المواهب الفذة ، على أن تظهر هذه المواهب في أعمالهم الأدبية

***

ولا ريب في أن جائزة نوبل اليوم هي أعظم الجوائز في عالم الأدب إطلاقاً ، إذ هي لا تؤثر قومية على أخرى . ثم إنه لا يحكم بها من أجل كتاب مفرد ، بل يجرى الحكم بها بعد التثبت من صلاحية شطر من مؤلفات أديب بذاته ، وهي لهذا السبب غالباً ما تمنح في خريف حياة الكاتب الأدبية وبعد أن يستكمل نضوجه الأدبي . وتشبه جائزة نوبل في ذلك اعتراف الشهود على ميت بطيبته وحسن عمله في الحياة ، ولعل مستر سنكلر لويس Sinclair Lewis أحد الشواذ الذين يثبتون صحة هذه القاعدة ، فقد أنتج كثيراً بعد ما أحرز جائزة نوبل

أما الجوائز الاخرى التي تقل عن جائزة نوبل شأناً ، وقد ذكرت من قبل ، فهي كثيراً ما كانت متحزبة في قصدها متأثرة بروح العصر في اختيارها . ثم إن الضيق المالي الذي شمل العالم في السنين الأخيرة لم يدع لواحدة من هذه الجوائز أن تصل إلى جزء من أربعين جزءا من جائزة نوبل ، وإن كانت تطبع صاحبها بطابع الجودة وتدمغه بخاتم الذهب الابريز في نظر القارىء والناشر على السواء . ومن ثم يحرز المؤلف مكانة بعد أن يكون مهملاً الاهمال كله . والحق أن الجائزة أياً كانت تدق الطبول لصاحبها فيتنبه الناس إلى أن لهذا الرجل كتاباً لا يمكن التغاضي عن قراءته . وهذا مثلاً هنري وليمصن Henry Williamson لم يكن معروفا إلا لنفر قليل ، فما هو إلا أن منح جائزة هوثورن من أجل كتابه « تاركا ، كلبة الصيد » Tàrka the Otter حتى تهافت الناس على قراءة كتابه وذاع اسمه في كل محيط . وعند ما قضى المحكمون بمنح جائزة جونكور لأندريه مارلو André Malraux لكتابه حظ شخص Man's Fate لفتوا العالم الى واحد من أدباء الشباب في فرنسا الذين يعملون ويجاهدون للمثل العليا . وكانت جوزفينا جونصن Josephine Johnson قد باعت من كتابها « الآن في نوفمبر » Now in November مدى أحد عشر شهراً من بدء ظهوره ١٠ آلاف نسخة . وما إن منحت جائزة بولتزر من أجله حتى وصلها بين عشية وضحاها ٩ آلاف طلب ممن يريدون الاستمتاع بهذا الكتاب . وخلاصة القول إن هذه الجوائز القومية تحرض الناس على القراءة وتدفع الأدباء إلى تحسين الانتاج

ثم هنالك معركة حامية أبدا مستعرة دائماً في الخفاء بين الكتب ، وليس لدى الذين لم يندمجوا بعد في تجارة الكتب أي فكرة عنها ، فالتنافس بين المؤلفين بلغ شدته القصوى ، وهو في هذه الشدة قاس عظيم القسوة صلف قوي ، وليس للتسامح أو اللين أو الهوادة اليه سبيل ؛ ولعل هذه الحرب اليوم أشد استعاراً مما كانت عليه في سابق الأيام

ومهما تكن الحال فستبقى الديموقراطية عرجاء حتى يكون من واجبات الدولة تمرين الجماهير على كيفية القراءة المنتجة . وأول الخطوات في ذلك أن تبين للناس أحسن وأثمن وأنفع الكتب ، ولكن إلى أن نصل إلى مثل هذا العهد ستبقى أسواق الكتب مملوءة بما يظهره الناشرون في كل يوم ، أولئك الناشرون المنتشرون في كل بلاد الشرق والغرب ، وستبقى جمهرة القراء في حيرة عندما يعمدون إلى انتخاب كتب للقراءة ، ويكفي دليلاً على هذا حال الولايات المتحدة ، فقد أصدر الناشرون فيها برغم كساد سوق الكتب منذ عام ١٩٣٠ قدرا لا يقل عن ٥٠٠٠

تعزية باطلة

للأستاذ خليل هنداوى

« إن فى العمر مرحلة تنفق الحقيقة والذكرى فيها على بث الألم »

سمرنا إلى أن غفا السامر — وأعيا من السهر الساهر
تعالى إلىّ لنطوى الزمان — وننشر ما لفّه الغابر
فليس لنا من غد حاضر — وليس لنا أمل سافر
تعالى نفر إلى عزلة — يفر إلى مثلها الشاعر
تعالى نعود إلى نجويات — تقر بها النفس والناظر
تعالى نعود إلى الذكريات ال — عتاق ، فقد يشتفى الذاكر
تعالى إلى حيث لذاتنا — خفقن كما يخفق الطائر
ففى كل صوب لنا مشهد — نضير بآمالنا زاهر
وفى كل وادٍ لنا نشوة — يعربد شيطانها الفاجر
تعالى الى حيث فاح القديم — بأحلامنا ، وانتشى الحاضر

***

دنا ودنت ، والشفاه التقت — فما باح من سرها خاطر
ولم تتوثب عليها أمانٍ — ولم يمش فيها هوى ساعر
فأدركه وجل خائف — وأدركها وجل حائر
أيرجع عهد الشباب النضير — ويسطع منه الشذا العاطر ؟
هو العمر غاضت بشاشاته — يعذبنا طيفه الزائر . . .

(دير الزور) خليل هنداوى

كتاب جديد فى كل سنة من سنى الأزمة ، ومع ذلك فالكتب التى تقرأ محدودة العدد

ولهذا فالحاجة ماسة إلى حسن الانتخاب وصحة التأكيد . وليس أجدر بحل هذا المشكل من الجوائز الأدبية . وليتنا نحن الناطقين بلغة الضاد نأخذ بهذه السنة

ابراهيم ابراهيم يوسف

ملخصة عن :
The Meaning of Literary Prizes by Edward Weeks

وحى الريف

زهرة القطن

أو

ذات الثوب الذهبى

بقلم أحمد فتحى مرسى

أشرقت فى البلاد سهلاً فسهلاً — زهرة فى الحقول ياما أحيلى
تنثنى فى الغصون إن هبت الري — حُ وجر النسيمُ فى الحقل ذيلا
الندى سائلٌ على وجنتيها — رطّب الخد والجبين وحلّى
تلثم الريحُ ثغرها ثم تمضى — وتجوب الحقول حقلاً فحقلا
وتُسِرُّ الغداةَ فى مسمعيها — عن مدى حبها حديثاً وقولا

***

قمتُ بين الرياض ذات صباح — أقتل الوقت والفراغ المُملا
وتخيّرتُ فى الفضاء مكاناً — راقَ فى ناظرى مياها وظلا
ووقفتُ الغداةَ أرعى الحقول ال — خضر مستعرضاً بهاها مُطلاً
شدّ ماراقنى جمالُ رياضٍ — أشرقت فى الضحى شعاعاً وطَلا
وزهورُ القطن البهيجة فى الحق — ل تهاوى على الربى وتجلى
يرقصُ اللؤلؤ فى سنا الصبح رقصاً — وتميل الزهورُ فى الغصن ميلا
والحقول الوضاء تبدو سماء — أطلعت زاهر الكواكب ليلا
وكأنّ الحقول مائدة خض — راء والريح لاعبٌ يتسلى
وكأن الزهور أوراق لعب — نُثرت فوقها وحلت محلا

***

قد أثرت الربوع يا زهرة القط — ن فهلا أثرت قلبىَ هلا
أنت حسن الحقول فى ذلك الري — ف ومصباحها الجميلُ المحلى
أنت دنيا الفلاح والعقل والما — ل ولولاك ضاع مالاً وعقلا
أنت ليلاه فى الغدوّ وفى الرو — ح وقد جُنّ فى الحياة بليلى
أنت سؤل البلاد والأمل المنشو — د والمطمح العزيز المُجلّى

أحمد فتحى مرسى

القصص

صديقـــة الطلبة

للشاعر الفرنسي الفريد دي موسيه

ترجمة السيد مظفر البقاعي

— ١ —

كان بين طلاب معهد الطب فى جامعة باريس فتى لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر يدعى « أوجين أوبرت » ، وهو من أسرة طيبة أقام أبواه فى الريف وخصصا له نفقات ضئيلة كانت تقوم بأوده ، وكان الشاب محبباً إلى رفاقه لطيب عنصره ودماثته وسخائه ، وإنما كانوا يأخذون عليه انصرافه إلى الوحدة ورغبته عن الملاهى حتى لقبوه « بالطفلة » فكان يبتسم لدن سماع اللقب يقيناً منه أنه دعابة نزيهة

وكان أوجين يمقت الغانيات ويعدهن من جنس خطر غادر ، فيسرد بين سمع صحبه وبصرهم أدلته الوفيرة على رأيه ، إلا أن هؤلاء كانوا يسخرون من مزاعمه ، وبذهم فى ذلك فتىً من خلانه مرح ماجن يدعى مارسيل كان لا يفتأ يحاوره ويجادله :

— أتزعم أن خطأ أو عارضاً حدث اتفاقا يجيز لك وضع قاعدة مطردة ! ...

— بل إنى أرى وجوب اجتناب أمثال هـذه الأخطاء خيفة تكررها

— هذه سفسطة ...

ويطول الحوار فى المقهى ، والرفاق شهود ، ويحرص مارسيل خلاله أن يثبت لأوجين أن النساء وخصوصاً العاملات منهن طاهرات وفيات ، ثم يتخلص من ذلك إلى وصف جارة لأوجين اسمها ميمى بنسون بأوصاف مغرية يحل منها هذا فيتناول قبعته وينسل بلطف تاركا مارسيل والمواعظ تتدفق من بين شفتيه ...

— ٢ —

لم تكن ميمى بنسون جميلة بالمعنى المعروف لدى الباريسيين ، ولكنها كانت عاملة فتانة ، وهناك فرق بين الغادة الوسيمة والعاملة الوضيئة ، فتلك إذا ما ارتدت ثوباً بسيطاً وصدارا من حرير وخمارا صارت عاملة رشيقة ، وأما هذه فانها لو لبست رداء زاهياً ومعطفاً مخملياً فوقه وغطت رأسها بقبعة ، فربما بدت حسناء ، وقد تترآى للعيان كشجب علقت عليه الثياب المذكورة

وقد كانت الآنسة بنسون ذات أنف أخنس وفم أشدق وأسنان جميلة ووجه مستدير وعينين براقتين فيهما حور ، وشعر أسود ؛ وليست هذه أوصاف حسن باهر ، ومع ذلك فقد قرر مارسيل اغواء أوجين واغراءه بحب هذه الفتاة ؛ ولعل هذا لأنه كان هو نفسه مغرماً بالآنسة زليا صديقة الآنسة بنسون الحميمة ، راجياً أن يكون التحبب داعية الحب . ولئن كان ذلك ممكناً ، بل لو كانت المصادفة أقوى الفتن والنوايات ، فكم من أناس عجز الانفاق عن التغلب عليهم وباءت المصادفة بالفشل ازاءهم ... ومن تلكم النفوس كانت نفس أوجين

لم يكن مارسيل يجهل سجايا خدينه ، فرسم خطة سهلة أيقن أنها رائعة فعالة فى التغلب على ثبات صاحبه ومقاومته ، ذلك أنه أولم احتفاء بعيد مولده ولمة كان قد هيأ لها بضع زجاجات من الجعة ، وقطعة لحم قديد ، وشيئاً من السلطة ، وقرص حلوى كبير ، وزجاجة من خمر شمبانيا . ودعا طالبين من رفاقه ، وطلب إلى صديقته زليا أن تأتيه مساء يومئذ وبصحبتها الآنسة بنسون . وفى الموعد المضروب عندما كانت الساعة تدق السابعة طرقت العاملتان الباب ودخلتا : زليا مرتدية ثوباً قصيراً مشطباً ، وبنسون رداء أسود لم يكن يفارقها . وبعد أن جلستا واحتستا الكأسين الأوليين استأذنهما رب المنزل فى التغيب قليلاً ،

وقصد توا إلى منزل أوجين فوجده كعادته محاطاً بكتبه مكباً عليها ، فبعد كلمات منمقة غير ذات معنى ، بدأ يلومه برقة وينمى عليه اجهاده نفسه ، وينصحه بوجوب الاستراحة والتلهى ، ثم اقترح عليه القيام بنزهة قصيرة ، فقبل أوجين الاقتراح لأنه كان متعباً بعد إذ قضى يومه فى الدرس والمطالعة . وبعد جولة لم يعد صعباً على مارسيل أن يستزير صديقه ، وكان الفتاتان قد أطلقتا لنفسيهما العنان إذ داخلهما السأم من الانتظار ، فخلعتا وشاحيهما وحسرتا ، ثم أخذتا ترقصان وتتذوقان ما على الخوان على سبيل التسلية . فلما دخل الشابان وقفتا فى ذهول وقد توردت وجنتاهما ، ثم حيتا أوجين فى استحياء وحيرة ودهشة لعرفانهما سلوكه واعتزاله ، وبعد أن أجالتا فيه النظر عادتا إلى الرقص والغناء ؛ أما أوجين فقد تقهقر ليولى الأدبار لولا أن أقفل مارسيل الباب وألقى المفتاح على المائدة وصاح :

— لقد امتلكنا هذا النافر المتكف .. أقدم لكما يا آنستىّ أفضل شاب فى فرنسا ، وهو راغب فى التشرف بمعرفتكما منذ زمن طويل ، وإنه جد معجب بالآنسة بنسون

فكفت الصبيتان عن الرقص ، وحيتا أوجين كرة أخرى ، وقال له مارسيل :

— إنى قدتك بالرغم منك لتشاركنى فى عيدى الخاص ، فهلا فعلت ؟

وباشارة من مارسيل قالت له بنسون بصوت عذب : ذلك رجاؤنا يا سيدى

ووافى القوم آنئذ الطالبان المدعوان ، فلم يعد لأوجين سبيل إلى الخلاص فجلس على مضض

— ٣ —

دام العشاء إلى ساعة متأخرة أكثر خلاله الفتية من تدخين اللفائف واحتساء العقار . أما العاملتان فكانتا فكاهة المجلس وتعلة السامر بأحاديثهما الشائقة وفيها المعقول والمبالغ فيه : فمنها أن كاتبين ربحا فى القمار عشرين ألف فرنك وبدداها مع عاملتين خلال ستة أسابيع ؛ وأن ابن أحد أعاظم أغنياء باريس قدم لغسالة معروفة « لوجا » فى الأوبرا وداراً فى الضاحية فرفضتهما وآثرت أن تظل بارة بأبويها العجوزين ، وأن وجيهاً زار عاملة فنفاها أولو الأمر إلى أمريكا وأعطوها محفظة مفعمة بالأوراق المالية ...

فقاطعهما مارسيل أخيرا قائلاً : إن زليا تبتكر وتغرق ، أما الآنسة ميمى فقد فاتها أن الكاتبين ما ربحا شيئاً ، وما قدم الغنى غير برتقالة ، والعاملة فى المستشفى فى أشد حاجة إلى القوت ...

نهضت عندئذ بنسون — وقد لاح لأوجين أنها اصفرت عند سماعها الجملة الأخيرة — فقالت :

— إن كان مارسيل لا يصدق القصص فليسمع هذه الحادثة وقد كنت أحد أبطالها :

ذهبت فى الأسبوع الفائت مع اثنتين من صديقاتى وهما بلانشت وروجيت إلى مسرح (الأدبون) لمشاهدة رواية ، فاستأجرنا لوجاً ودفعت روجيت الثمن — إذ كانت قد ورثت مالاً ، فرآنا ثلاثة طلاب ودعونا للعشاء ، فقمنا إلى مطعم المسرح مع الأبطال وأخذنا نطلب أفخر الأطعمة وأغلاها وأسرفنا فى الطلب ؛ وكنا كلما قدمت صحفة تناولنا منها لقمة أو لقمتين ثم نستبدلها من غيرها ، والشبان الثلاثة يحرقون الأرم على أن لو استطاعوا ازدراد شىء من الصحون المرفوضة أو المادة ؛ وجعلوا أخيراً يفكرون فى أمر الدفع فقد كان مع أحدهم ستة فرنكات ومع الثانى دون ذلك ومع الأخير ساعته . ثم قاموا متثاقلين يجرون أرجلهم نحو المحاسب الذى ابتدرهم بقوله : الثمن مدفوع ، لأن روجيت دفعت الثمن سلفاً . ثم عرضنا على السادة المذكورين إبلاغهم إلى دورهم ولكنهم مانعوا ورفضوا جهدهم فأصررنا وقد تظاهرنا بأننا ثريات نبيلات ، وكانت روجيت تقول لى :

— يجدر بنا أيتها المركيزة أن نقود السادة إلى منازلهم

فأجيبها : حباً وكرامة يا كونتس !

لم ترق هذه القصة للتلميذين صديقى مارسيل ، فوجما وقد اغبر وجهاهما ، ولعلهما كانا يعرفان تفاصيل الحديث أكثر من الآنسة بنسون التى طلب منها مارسيل أن تسميهم له فرفضت ، فسر أوجين من إبائها وأثنى عليها قائلاً :

— أنت محقة أيتها الآنسة ، إذ ليس بين الشبان الذين يملأون الجامعات والمدارس من خلا من خطيئة ارتكبها ، أو طيش فعله ، ومع ذلك فكل رجال فرنسا البارزين من سياسيين وقضاة وأطباء إنما يتخرجون من هناك ...

وقال مارسيل : هذا حق ، فكم من عين قضى طفولته يتناول الطعام فى أحقر المطاعم ، بل ربما لم يكن لديه ثمن القوت

ثم سألها وهو يغمز بعينه : ألم ترى بمدئذ المشاق المجهولين ؟ فأجابته غضبى نافرة : من تحسبنا ؟ أو لا تعرف بلانشت وروجيت . . . فقاطعها قائلا : حسناً لا تغضبى ، ولكنها قصة ثلاث طائشات بددن ما لهن وأضعنه جزافاً كى يسخرن بثلاثة مساكين لا يد لهم فى الأمر !

فأجابته : ولم إذن دعوتنا ؟

— ٤ —

طلب مارسل إلى ميمى أن تغنى ، فأنشدت مديحاً قيل فيها يتلخص فيما يلى :

« ليس لميمى غير ثوب واحد وقبعة . رداؤها لا يرتهن مدى الزمن مهما اعتراها من محن »

وكانت الجمل الثلاث الأخيرة لازمة الأغنية ، جعل السامعون يرددونها ، ويضربون الطاولة بمقابض السكاكين أو بالغلايين فيحدث من ذلك دوى شديد أزعج الآنسة المغنية فقالت : كفى ، ليت عندنا آلة موسيقية ترقص شوطاً على إيقاعها

قال مارسل : لدى قيثارة لكن أوتارها ناقصة

وقالت زليا : هو ذا بيانو وسيعزف عليه ما رسل . فحدجها هذا بنظرة غضب قاسية وقال : إنك تعلمين أننى لا أكاد أعرف عزفاً ، وأن ليس سواك من يستطيع أن يلاعب أصابع العاج ؛ ولو كنت طلبت ذلك من أوجين لسقطت على الخبير ولكنى لا أريد إزعاجه

فاحمر وجه أوجين وانسل بكياسة فجلس إلى البيانو وأخذ يعزف فابتدأ الرقص ، ولكنه لم ينته إلا بعد أمد طويل إذ جعل القوم يتنقلون من رقص إلى رقص دون كلال أو ملال ، وأنهك السهر والصياح أعصاب أوجين فاستولى عليه النعاس ولكنه استمر يعزف بصورة آلية كالفارس النائم على فرسه ، وكانت الراقصات تمررن من أمامه كأشباح فى الحلم . ولا مرية فى أن الحزن يستولى على من يرى غيره يضحك بمعزل عنه ، وكذلك عاودت أوجين بلابله ووساوسه فجعل يناجى نفسه :

هذا لعمرى سرور من حزن واغتباط من بؤس ، وإنها لحظات يخيل إلى أنها اختلست من أوقات الشقاء . ومن يدرى أى واحد من هؤلاء الخمسة لديه ما يسد به رمقه غداً ؟ !

وبينا هو غارق فى لجة أفكاره وهواجسه مرت بقربه الآنسة بنسون وخيل اليه أنها اختلست قطعة الحلوى من الخوان ودستها فى جيبها

— ٥ —

وانبلج الصباح فانفض السامر وتفرق السمار ، ومضى أوجين يدلف فى الدروب والسكك يستنشق نسيم الصباح العليل وهو ممعن فى خوض عيلم من أفكاره السوداء وصار يردد على رغمه :

« ليس لميمى غير ثوب واحد وقبعة » . ويتساءل : — هل تدفع التعاسة الانسان إلى التظاهر بالجذل والسخر من البؤس ؟ وهل يفتر ثغر جائع عن ابتسامة ! . . .

وكان يعتاده الأسى إذا ما ذكر أمر اختلاس الحلوى فيهتز حنواً ورحمة ويقلب الأمر ظهراً لبطن ويقول :

— ترى لم سرقت الحلوى ولم تسرق الخبز ! ... ثم لا يلبث أن يلتمس لها عذراً

لم ينتبه أوجين ليرى أين طاحت به قدماه ، فدخل اتفاقاً بعض المنعطفات التى أدت به إلى أزقة ضيقة ، فلما تبين ذلك عاد أدراجه فرأى امرأة هزيلة صفراء الوجه شعثاء الشعر أطمارها بالية خرجت من دار قديمة ، وقد بدا عليها السقام واصطكت ركبتاها حتى لم تكد تستطيع مشياً فجعلت تعتمد على الجدران

وبدا لأوجين أنها تقصد صندوق البريد القريب فابتدرها مضطرباً وسألها عن أمرها وهدفها ، ثم مد لها ذراعيه لتستند عليهما وقد شارفت على السقوط فازورت فى كبرياء ووجل وألقت إليه بالبطاقة التى تحملها ، وأشارت إليه أن يضعها فى الصندوق وعادت تجر ساقيها مشية النزيف أمضه الونى حتى دخلت دارها ، فتحرك لها فؤاده ورقت لها حناياه وأشاطه الحنو بعد رزانة ففض غلاف الرقعة دون ما روية أو تريث إذ أدرك أن هذه السقيمة قد تقضى قبل أن تتلقى جواباً ، وكان عنوان الغلاف : « الى حضرة البارون ... » وفحواه ما يأتى :

« اتل يا سيدى كتابى ولا تهمله ، فأنا أموت جوعاً إذ لم أحصل على بلغة منذ أيام ، وأمس بت على الطوى وما أزال ، وقد لا يصل كتابى إليك إلا وأصبح شريدة بلا مأوى ، فقد أقعدنى المرض عن العمل لأكسب قوتى وأدفع أجرة المسكن . أرسل لى بربك ديناراً بلا تأخر ، ولا تدعنى فى شك يلتهم ما أبقت الآلام منى ، إنى منتظرة حتى نهار الخميس فى دارى : شارع

المهماز ، واسمي الجديد الآنسة برنان » « روجيت »

دهش أوجين أشد دهشة لما رأى التوقيع وتمتم قائلاً :

— إنها الفتاة التي بددت دراهمها نفسها ... لقد ألقى بها الداء إلى هذه الهاوية من الذل ! ... وأردف يتابع نجواه :

— ليت شعرى ألم تعلم صديقاتها بأمرها ؟ أم ترى تركنها تتضور جوعاً وفى العراء من غير ملجأ ! ...

وأفاق من ذهوله كأنما كان فى حلم مريع فسارع إلى طاه كان يفتح حانوته فابتاع طعاماً ثم سار يقود أجير الطاهى إلى دار روجيت ، فلما وصلها أوعز للغلام أن يطرق الباب ويعطيها الطعام فان سألته عن مرسله فليقل إنه « البارون ... » ثم سار متثاقلاً فأصلح من شأن الرسالة وألقاها فى صندوق البريد وهمس يحدث نفسه :

« أما إذا رأت روجيت أن جواب بطاقتها كان سريعاً فستفهم السر من البارون »

— ٦ —

كان أوجين يرى من الواجب أن يرفق المائدة المرسلة بالدينار المطلوب ولكنه كان خالى الوفاض صفر اليدين . فان الطلاب كالعاملات فقراء ، وليست الدراهم بضاعة رائجة فى الحى اللاتينى ؛ لذا قصد فتانا حلاقاً مرابياً فى ساحة البانطيون ليرهن بعض حاجاته وهناك ألفى خليله مارسل يحلق لحيته ويقترض مالاً يفى به ثمن عشاء الأمس ، فلما أبصره هـذا سأله عن جلية أمره فأطلعه بايجاز على قصده ، فسخر منه مارسل وصار يعنفه وأوجين لا يزداد إلا متانة وعزماً ، وأخذ يلوم ميمى بنسون وأضرابها من الصديقات اللواتى يتناسين عشيراتهن بالأمس ويوجه إليهن سهاماً صائبة من الانتقاد والاحتقار الشديد إلى أن قال :

— إن فتاتك بنسون غول فظيع عدا كونها متهللة خليعة ماجنة . أما صداقتها فمادية ممقوتة

فقال الحلاق المرابى واسمه الأب كاديديس :

— إنك قاس وحكمك جائر لأنى أعرف الآنسة بنسون وأعتقد أنها نبيلة سامية وهى عظيمة

فأجاب أوجين : — نعم هى عظيمة فى شراهتها وكثرة تدخينها

فقال المرابى : — ذلك ممكن وأكثر الشبان ما بين آكل وضاحك ومغن ومدخن ، على أن منهم من له قلب يحس ويتألم

فسأله مارسل : — ما ذا تقصد ؟

فأجاب الحلاق : — هناك فى مؤخرة الحانوت ثوب حريرى تعرفانه يا سيدى لأنكما تعلمان أن صاحبته لا تملك سواه ، وهى الآنسة ميمى التى رهنتنيه فجر اليوم لكى تسعف روجيت أولاً فانها فى أشد عوز

ودخل مارسل إلى أقصى الحانوت ليشاهد الثوب العتيد وتبعه أوجين فقال الأول :

— إن أنشودة ميمى كاذبة إذ رهنت رداءها ! ... كم أعطيتها أيها الأب كاديديس على هذه الرهينة الثمينة

— أقرضتها أربعة فرنكات وكنت لها محسناً لأن الثوب بال قديم . فصاح مارسل :

— مسكينة ميمى ! أراهن على أنها رهنت الرداء لتساعد روجيت ؟

فقال أوجين : — أو لتدفع ديناً ممطولاً

وأردف المرابى قائلاً : وإنى لأذكر أن بعض دائنيها حجزوا على أثاث دارها ولم يتركوا لها سوى سريرها وكانت نائمة عليه وقد ارتدت أربعة أثواب فوق بعضها كيلا يأخذ الغرماء واحداً منها ، وقد كانت يومئذ فى حال خير من حالها اليوم ، فلم ترهن ثوبها إذن لتفى ديناً ، ويدهشنى أن يكون ذلك لمعونة بائسة مثلها

واسترد مارسل الثوب بعـد أن دفع قيمة الرهن ، وخرج مع صديقه — الذى أصر على أن الرهن ليس من أجل روجيت — فقصد دار ميمى تنفيذاً لرهان عقداه

— ٧ —

— ذهبت الآنسة إلى الصلاة

هذا ما قاله البواب للطالبين عند ما سألاه عن ميمى

فصاح أوجين فى عجب : إلى الصلاة !

وردد مارسل : إلى الصلاة ! هذا مستحيل لأنها لم تبرح الدار . دعنا ندخل فنحن أصدقاء قدماء

ولكن البواب أكد لهم أنها خرجت مذ هنيهة إلى الكنيسة المجاورة دأبها كل صباح . وفيما هم كذلك إذ ظهرت تجتاز الشارع فأسرع مارسل ينعم النظر فى أثوابها فرآها ترتدى غلالة عتيقة مؤزرة بستارة نافذة من الصوف الأخضر ، وقد

سترت رأسها بنصيف أبيض فبدت بهذه الأطمار خلابة وأزاحت الستر قليلاً فبانت قامتها الهيفاء . وقالت للفتيين : — هـذا ثوب تفضل

فقال مارسل – لعمري إنك فاتنـة . قالت : إنى غدوت كزمة . قال : بل طاقة ورد ، وإنى نادم إذ رددت لك ثوبك .

قالت : وأين وجدته ؟!

قال : فككت أسره ، وأطلقت رقه ، ودفعت فديته ، فهل تغفرين جرأتي ؟

قالت : نعم وسأنتقم

وأخذت ترقى الدرج إلى غرفتها وخلفها الصديقان حتى وصلت إليها ، فدخلوا جميعاً . وقال مارسيل : — لا أعيد لك الرداء إلا على شرط

قالت : ويحك ! أشروط ! إنها حماقة لا أريدها

قال : لقد تراهنا ! فقولى بصراحة لم رهنت ثوبك ؟

قالت : دعنى أرتديه ثم أخبركما عن السبب . استرا وجهيكما كى لا أضطر الى لبسه فى الخزانة أو على السطح . فأجاب مارسل : — اطمئنى فلن نختلس نظرات

— إنى أثق بكما ولـكن قيل : احذر الأمين

وخلعت الستارة وألقتها على وجهى الشابين ، وأمرتهما بالصمت والخضوع ، فقال مارسيل : احذرى أن يكون فى الستر خرق نراك منـه ، فقد جعلنا فعلك فى حل من كلامنا

فهتكت الستار ضاحكة فقالا :

— سرك يا آنسة هلا بحت لنا به وأنجزت وعدك ؟

فترددت هنيهة ثم دفعتهما نحو الباب وقالت :

— تعاليا معى فتريا

— ٨ —

بعد مسير غير قصير فى طرق ملتوية ودروب ضيقة سار فيها أوجين من قبـل وصل الثلاثة إلى دار روجيت فدخلوها ، وقد ربح مارسل الرهان لأن الأربعة فرنكات وقطعة الحلوى التى سرقتها الآنسة بنسون أمس كانت على المائدة مع فضلات الدجاجة التى أرسلها أوجين

وكان حال المريضة خيراً من قبل ، وكان شكرها للمحسن المجهول عظيما . وقد اعتذرت بواسطة صديقتها بأنها غير قادرة أن تستقبل الشابين فانصرفا متعجبين من هذه الـكبرياء وهذه العفة

وبعـد أن حضرا دروسهما فى المعهد تغديا معاً ، وفى المساء خطرا يتنزهان فى الشارع الايطالى . وأخذ مارسل يحاور عشيره ويحاول إقناعه قائلاً :

— طالما لمتنى على حبى هؤلاء العاملات ، وقد رأيت من طيب أنفسهن ونبلهن البرهان القاطع . من هو ذلك المحسن الذى قام بما قامت به ميمى من أجل صديقتها ؟ إن فتاة ترهن ثوبها الوحيد وتسرق قطعة حلوى لتساعد رفيقتها لجديرة بالتقديس وخلود الذكر . أما تلك العليلة فانها لا تقل عن خدينتها شرفاً وطهراً ؛ ولو أن فيها أدنى شائبة لما طلبت كسائلة صدقة من أحد . وكادت تقضى منتظرة لولاك . فلم تخش موتاً محققاً ، وهى التى عرفت حلاوة العيش عند ما ألقت بنفسها فى النهر مرة من قبل

فقال أوجين : حسبك يا مارسل ! أتظن أن أيامى كهؤلاء بلا عائل ولا سند هن ذوات حنكة أو دراية كافية ؟ وهل يا ترى نذرن أنفسهن البائسة للشقاء والتعاسة ؟ ليت شعرى متى يعدن إلى جادة الخير والصلاح ؟ ألا قل لى أو لا تعاملوهن يا معاشر الشباب بطيشكم ومجونكم المعهودين ؟! هيا بنا إلى دار روجيت المريضة علّنا نحملها على أن تسلك الصراط المستقيم ، ولن أطلب منها قسما بل لا أؤنبها ولا أوبخها ، ولـكنى سأقترب من سريرها فآخذ بيديها ويدى صاحبتها وأقول لهما . . .

ومرّ آنئذ أمام مقهى لاح لهما فيه على ضوء المصباح وجها فتاتين تأكلان حليباً مجمداً ، فلما رأتا الشابين لوحت لهما الأولى بمنديلها ، وقهقهت الأخرى ضاحكة . فقال مارسل مقاطعاً أوجين :

— واهاً ! إن كنت ترغب أن تحدثهما فهم هنا فى مرح ولهو ، ويظهر أن البارون قام بالمطلوب

فأجابه :

أولا يخيفك جنون كهذا ؟

نعم ! لـكنى أرجو ألا تطمن فى العاملات وخصوصاً اللواتى على شاكلة بنسون

(دمشق) مظفر البقاعى

البريد الأدبي

كتاب عن الحبشة للجنرال فرجين

صدر أخيراً فى السويد كتاب جديد عن المسألة الحبشية بقلم شخصية كانت تشغل فى الحبشة حتى الغزوة الايطالية المكانة الأولى ، تلك هى شخصية الجنرال فرجين السويدى مستشار امبراطور الحبشة السياسى والعسكرى من مايو سنة ٩٣٤ إلى ديسمبر سنة ٩٣٥ ، وقد ذاع اسم الجنرال ڤرجين أثناء الحرب الحبشية ، وكاد وجوده إلى جانب الأمبراطور فى بدء الهجوم الايطالى يؤدى إلى اضطراب العلائق السياسية بين ايطاليا والسويد ؛ ذلك أن الجنرال ڤرجين عين مستشاراً للأمبراطور بواسطة حكومته ، وكان تعيينه حلقة اتصال قوى بين الحبشة والسويد ، وكان يوجد فى الحبشة فى بدء الهجوم الايطالى عدة ضباط من السويد يعملون لتنظيم جيش النجاشى ، وكانت المعامل السويدية تصدر الأسلحة والذخائر إلى الحبشة ، ولكن السويد رأت فى النهاية أن تبتعد عن التدخل فى هذه المغامرة فأمرت الجنرال ڤرجين وزملاءه بالانسحاب من الحبشة

والكتاب الذى ألفه الجنرال ڤرجين بالسويدية ، وترجم أخيراً إلى الانكليزية عنوانه الحبشة كما عرفتها Abyssinia as I Knew وفيه يعرض الجنرال إلى الظروف والحوادث التى انتهت بهجوم ايطاليا على الحبشة ، ويفصل حوادث الغزو حتى ديسمبر الماضى أى إلى انسحابه من ميدان الحوادث ، وربما كان هذا القسم الأخير هو أهم أقسام الكتاب ، ففيه يسرد الجنرال كل المقدمات والوسائل التى تذرعت بها ايطاليا لتنفيذ اعتدائها ، ويقول إنه لم يكن خافياً أن ايطاليا تدبر هذا الاعتداء منذ زمن طويل ، وأنها أرسلت قبل وقوع الاعتداء بأعوام عدة من الرسل والمندوبين بصفة قناصل فى طول الحبشة وعرضها ؛ واشتغل هؤلاء ببث الدعاية لايطاليا وكسب ولاء القبائل والزعماء بالرشوة والوعود ، واشتغلوا أيضاً بتدبير المشاكل والمشاغبات مع السلطات المحلية لاثارة الخواطر وتحدى الأمبراطور

ومن جهة أخرى ، فقد عملت ايطاليا من جانبها على اذاعة دعوى قوية فى أنحاء أوربا والعالم كله ضد الحبشة وصورتها بصورة أمة همجية تهدد باستعداداتها الحربية مركز البيض فى أفريقية ، وتدبر الاعتداء على مستعمراتها ، وأنه يجب على أوربا أن تشد أزر إيطاليا فى موقفها وفى محاولتها أن تحمى مركز البيض فى أفريقية ، وأن تحمل رسالة الحضارة الأوربية إلى تلك البلاد الهمجية الوعرة

ويعتبر كتاب الجنرال ڤرجين بما فيه من حقائق وبيانات وثيقة عن هذه الحوادث الخطيرة أهم الوثائق التى صدرت عن الحبشة قبيل محنتها وسقوطها فى يد الاستعمار الغربى

حول مقالات الأستاذ كراتشقوفسكى

وردت فى « ترجمة » الفصول التى تنشرها الرسالة للأستاذ المستشرق أغناتيوس كراتشكوفسكى عدة وقائع ونقط تحتاج الى الضبط والتصحيح وهذا بيان ما لفت نظرنا منها

(١) إن الأستاذ كراتشوقسكى يشغل منصبه العلمى « بأكاديمية العلوم بلننجراد » وليس بجامعة لننجراد كما ورد فى تعريف المترجم ، وانه ليس هو مترجم قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم ولكن الذى ترجمها هو كاتب روسى آخر يدعى مسيو ساليير

(٢) وأن كتاب « زعماء الأدب العربى المعاصر » ليس من من تصنيف الدكتور كمبفاير وحده ولكنه اشترك فى وضعه مع الدكتور طاهر خميرى الأديب التونسى الذى يشغل الآن منصب محاضر فى المعهد الشرقى بهامبورج

هذا عن المقال الأول

(٣) وأما عن المقال الثانى فقد ورد فى آخره ما يأتى : « وفى عام سنة ١٨٨٤ » وضع جميل المدور « أخبار أيام هرون الرشيد » ؟

ونحن نجيب المترجم عن استفهامه وهو أن الكتاب المشار اليه يسمى « حضارة الاسلام فى دار السلام » بقلم جميل بن نخله المدور ؛ وقد طبع بالقاهرة سنة ١٨٨٨

ذكرى الموسيقى بروكنر

من أنباء فينا أنه قد احتفل فيها فى الأسبوع الماضى بذكرى الموسيقى النمسوى الشهير أنتون بروكنر وذلك لمناسبة مرور أربعين عاماً على وفاته ؛ فأقيمت عدة احتفالات موسيقية كبيرة فى بهو جمعية الموسيقى النمسوية وفى بهو الكونسر فتوار وفى معظم أبهاء العاصمة النمسوية الأخرى، واتخذت هذه الاحتفالات صفة رسمية . وأنتون بروكنر أحد أقطاب هذه الموسيقية الزاهرة التى غمرت النمسا وأوربا بفنها الرائع فى أواخر القرن الماضى ، وكان مولده فى سنة ١٨٢٤ ؛ وتوفى فى سنة ١٨٩٦ ؛ وتخصص فى الموسيقى الكنسية ؛ واشتغل أولاً موسيقياً لكنيسة لنز ، ثم انتخب موسيقياً لكنيسة البلاط ؛ وعين بعدئذ أستاذاً للكونسر فتوار ؛ وطاف بروكنر أنحاء العواصم الأوربية وعرض فيها « سمفونياته » الشهيرة وهى من أبدع ما وضع من مقطوعات الموسيقى الكنسية . ومما يؤثر عنه أنه كان ورعاً جداً حتى إنه أهدى مقطوعته الأخيرة المعروفة « بالمقطوعة التاسعة » إلى « الله سبحانه وتعالى » ولكن الموت عاجله ولم يتمها ؛ وكان القيصر فرانز يوسف يغدق عليه حبه وعطفه حتى إنه أهدى إليه مسكناً فخماً فى قصر « البلفدير » الشهير

هرمان فندل

نعت إلينا أنباء باريس الأخيرة الكاتب الألمانى المعروف هرمان فندل فقد توفى فيها فى الثانية والخمسين من عمره ؛ وقد ولد هرمان فندل ألمانياً فى مدينة متزمن من أعمال اللورين ، ولكن اللورين ضمت بعد الحرب إلى فرنسا ، فغدا فرنسياً ، وتلقى فندل دراسته فى ميونيخ ودرس الفلسفة والتاريخ ؛ وخاض منذ الحداثة غمار السياسة ، وانضم إلى الحزب الدعوقراطى ، واشتغل بالصحافة ، واشتهر بمقالاته القوية اللاذعة ، ثم اعتزل السياسة واشتغل بالتاريخ ، وتوفر على دراسة تاريخ يوجوسلافيا السياسى والاجتماعى ، وقام فيها برحلات ومباحث عديدة حتى غدا مؤرخها الاخصائى . وأهم كتبه عنها كتابه المسمى : « نضال السلافيين فى سبيل الحرية والوحدة »

Der Kampf der Sudslaueu um Freiheib und Einheit

وله كتاب آخر فى دراسات مختلفة عن يوجوسلافيا عنوانه :

« فى أرجاء يوجوسلافيا الجنوبية »

Krewz und quer qurch den Slawisehen Süden

وفى سنة ١٩٢٠ ، طلبت إليه الحكومة الألمانية أن يكون سفيراً لها فى بلغراد فأبى ؛ وفى سنة ١٩٢٩ ، أنعمت عليه جامعة بلغراد بلقب الدكتوراه الفخرية لخدماته الجليلة لقضية السلافيين

تبادل المؤلفات بين البلاد العربية

قررت الحكومة المصرية أن تتبادل إدارة الصحافة والثقافة والنشر مع حكومات البلدان العربية العراق والحجاز وسوريا وفلسطين واليمن وغيرها المؤلفات والمطبوعات التى تطبع فى مصر وفى تلك البلاد فترسل هذه الادارة إلى هذه الحكومات نسخة من كل ما يطبع أو يصدر فى مصر وترسل هذه البلاد إلى الادارة نسخة من كل ما يطبع أو يصدر بها من المؤلفات .وهذا القرار جزء من الخطة التى رسمتها الحكومة المصرية لتوحيد الثقافة العربية فى جميع هذه الأقطار

تاريخ العرب الأدبى للأستاذ نيكلسون

تبدأ (الرسالة) من العدد القادم فى نشر كتاب « تاريخ العرب الأدبى » للمستشرق الانجليزى الكبير الأستاذ رينولد نيكلسون صاحب التآليف المعروفة لكل مشتغل بالدراسات الاسلامية والتاريخ العربى . والأستاذ نيكلسون من المستشرقين الذين درسوا الأدب العربى دراسة دقيقة ووقفوا على أسرار العربية ، وله معرفة تامة بكثير من اللغات الغربية كالفرنسية والألمانية واليونانية واللاتينية والايطالية وبعض اللغات الشرقية كالسريانية والعبرية والفارسية والعربية . وقد ولد فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٨ وتعلم فى جامعة أردين التى صار فيها — فيما بعد — أستاذاً للعربية والفارسية ، وكذلك فى جامعة ترينتى كولدج بكمبردج ، وله كثير من المؤلفات والترجمات التى تتعلق بالآداب الشرقية وعلى الأخص العربية والفارسية ومن أهمها : (١) مختارات من ديوان شمس تبريزى (١٨٩٨) وتذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (جزءان ١٩٠٠) ومبادىء العربية (٣ مجلدات) ١٩٠٧ ، ١٩٠٩ ، ١٩١١ ، وتاريخ العرب الأدبى (طبع لأول مرة سنة ١٩٠٧ ولآخر مرة سنة ١٩٣١) وترجمان الأشواق لابن العربى مع ترجمته الانكليزية وتعليقات بقلمه (١٩١١) وكتاب « فى التصوف الاسلامى » وصوفيو الاسلام (١٩١٤) ونظرات فى التصوف ، وأسرار الروح (عن محمد إقبال) ١٩٢٠ ، ودراسات فى الشعر الاسلامى ، وكتاب

الكتب

تاريخ الفلسفة اليونانية

تأليف الأستاذ يوسف كرم

المدرس بكلية الآداب

بقلم الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

منذ عام تقريباً ندبنا على صفحات « الرسالة » حظ الفلسفة فى بلدنا ؛ وأخذنا على العامة ازدراءهم لها وإعراضهم عنها وجهلهم بها ، وساءنا من الخاصة أنهم لا يأخذون بيدها ولا يقومون على نشرها ولا يحببون الناس فيها [١] ، وربما كان قسط الخاصة من شكوانا أعظم من غيرهم ؛ فإنهم إن قاموا بواجبهم وكتبوا لنا فلسفة بلغة العصر وروح العصر اجتذبوا القراء إليهم ورغبوهم فى أبحاثهم . وكم شكا عشاق الفلسفة — وحق لهم أن يشكوا — من أنهم لا يجدون منها فى العربية الغذاء الكافى لأرواحهم وعقولهم ، وكأنى بهذه الشكوى جاءت إرهاصاً لما بعدها وإعلاناً عن نقص اتفقت عليه الآراء ، ولا أدل على هذا من أن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهى أعرف ما يكون بحوائج البلد العلمية ووسائل مدها ، قد وجهت عناية خاصة فى هذا العام إلى الدراسات الفلسفية وأخرجت لنا خمسة كتب فى نواحيها المختلفة [١]

ومن بين هذه الكتب تاريخ الفلسفة اليونانية الذى وضعه زميلنا الأستاذ كرم بعد خبرة طويلة وتجارب عديدة ، فقد وكل إليه تدريس الفلسفة بكلية الآداب بالجامعة المصرية منذ عشر سنوات أو يزيد استطاع فيها أن يعرف فلاسفة الأغريق عن قرب وأن ينفذ إلى صميم أفكارهم . ويقع مؤلفه فى ثلثمائة وخمسين صفحة تقريباً من القطع الكبير درست فيها المدارس الفلسفية اليونانية منذ عهد الشعراء إلى أواخر أيام مدرسة الأسكندرية ؛ وذيلت ببيان عن المراجع الهامة وقاموس مفيد فى الأعلام والألفاظ الفلسفية . وينقسم هذا الكتاب إلى خمسة أقسام : مقدمة وأربعة أبواب . ففى المقدمة يعرض المؤلف للفكر اليونانى قبل الفلسفة ويتحدث عن عصر الشعراء والحكماء السبعة ، وفى الباب الأول يدرس الطبيعيين الأول والمتأخرين والفيثاغوريين ، والايليين ، والسفسطائيين ، وسقراط الذى يفصل بين مرحلتين متحيزتين من مراحل تاريخ الفلسفة ؛ ويقف الباب الثانى على أفلاطون ، والثالث على أرسطو . أما الباب الرابع والأخير فيتكلم فيه عن صغار السقراطيين والأبيقوريين وأصحاب الرواق والشكاك ورجال مدرسة الأسكندرية . وإنا لنلاحظ فى هذا التقسيم أنه عنى عناية خاصة وجديرة بالتقدير بالشخصيتين العظيمتين فى تاريخ الفلسفة اليونانية وهما أفلاطون وأرسطو ؛ فقد درس كل واحد منهما فى باب مستقل ، وليس هذان البابان من الأبواب الصغيرة ، فحديثه عن أفلاطون يقع فى ست وستين صفحة ، وترجمته لأرسطو تشغل ما يزيد على ثلث الكتاب جميعه (١٣٤ ص)

وفى الواقع لقد وزن المؤلف المدارس الفلسفية الأغريقية

(١) مدكور ، « الرسالة » (العدد ١٢٥) ص ١٨٨٩ — ١٨٩٠

(١) نشير هنا إلى كتاب البراجماتزم ليعقوب أفندى فام ، وعرض تاريخى للفلسفة والعلم تأليف وترجمة الأستاذ خلاف ، وفلسفة المحدثين والمعاصرين تأليف وولف كذلك وترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى ، وموسى بن ميمون تأليف الدكتور ولفنسون ثم إلى الكتاب الذى نتحدث عنه

كشف المحجوب مع ترجمة وتعليق بقلمه (١٩١١) وأشعار عمر الخيام ترجمة وتعليق ١٩٠٩ والمسعودى وغير هذه من الكتب القيمة . وهو يعيش اليوم فى هدوء الشيخوخة بين أسفار الأدبين العربى والفارسى . ولكتابه فى الأدب العربى قيمة ممتازة بين كتب المستشرقين تتجلى فى سداد بحثه ووضوح أسلوبه واستقامة منهجه وقوة إدراكه لمختلف الآثار والعوامل التى طبعت أدب العرب فى كل عصر وفى كل بيئة

بميزان صحيح وقسم بحثه بينها قسمة عادلة ومتناسبة دون أن يفوته منها شيء هام، اللهم إلا أصحاب مذهب الاختبار الذين أهملهم رأساً وبعض شراح أرسطو فى الدور الأخير وفى مدرسة الأسكندرية بوجه خاص أمثال الأسكندر الأفروديسى، وسمبلسيوس، وثامسيتوس، الذين لم يشر إليهم إشارة كافية. وبالرغم من تشعب هذه المدارس وتعددها فقد عرضها فى صورة مرتبة مهذبة، وقسم أبحاثه إلى أبواب وفصول وفقرات هى غاية فى الدقة والوضوح. وليس بغريب أن يعنى مدرس بوسائل العرض والأيضاح! فهذه سنته كل يوم فى دروسه ومحاضراته. وهى سنة صالحة من غير شك ومعينة على تذليل بعض الصعاب التى يلاقيها القارئ فى أبحاث دقيقة كهذه. وقد ضم المؤلف إلى هذا حسنة أخرى، فختم كثيراً من مباحثه بنظرة عامة وربط تاريخى شائق [1]

ليس صعباً على من يدرس الفلسفة اليونانية أن يجد المصادر التى يستقى منها، فهى كثيرة ومتنوعة؛ إنما الصعب أن يختار من بين هذه المصادر أصلحها. وقد وفق المؤلف فى هذه كما وفق فى غيرها؛ فقد اعتمد فيما وراء أفلاطون وأرسطو على أوثق مصادر الفلسفة اليونانية. وكنا نفضل أن يحيل على هذه المصادر فى صلب الموضوع بدل أن يكتفى بسردها فى الفهرست. وفيما يتعلق بأفلاطون وأرسطو سلك سبيلا يحمد عليها؛ فقد درسهما دراسة مباشرة وقدم لنا صورة ناصعة عن مؤلفاتهما وحكم عليهما بناء على ما قالا لا اعتماداً على ما قال الناس عنهما. وهذه الطريقة علمية قطعاً ومعينة على تفهم الفيلسوفين على ضوء ما كتبنا. غير أنها مدعاة التكرار والاستطراد أحياناً، كما قد تسوق إلى سرد تفاصيل جزئية قليلة الفائدة وفى حذفها ما يفسح المجال للمشاكل الهامة [2]. ذلك لأن الملخص قد يؤخذ أحياناً عما هو أمامه وينسى بحثه الرئيسى. وعلى كل فلئن فات المؤلف إبراز بعض المشاكل الأفلاطونية والأرسطية فى ثوبها الكامل لقد نجح نجاحاً كبيراً فى إعطاء فكرة صحيحة عن مؤلفات أفلاطون وأرسطو وتلخيصها على وجه حسن. وكنا نود أن تستخدم المصادر العربية فى بحث كهذا؛ وفى استخدامها ما يسمح بتحقيقات ومقارنات علمية وتاريخية جديدة فاتت مؤلفى الغرب ومؤرخيه، وقد تنبه زميلنا إلى هذه

(١) انظر مثلا ص ٤٤، ٦٥، ٩٦ — ٩٧؛ الخ

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٩ — ١١١، ٢٢٦ — ٢٢٨، ٢٤٦ — ٢٤٩

النقطة فى بعض الفصول، إلا أنه لم يلتزمها فى كل بحثه [1]

الأستاذ كرم هادئ فى كل شىء؛ هادئ فى أسلوبه. فلا يحفل بالتراكيب الضخمة والعبارات الطنانة، وما أحوج اللغة العلمية إلى هذا الهدوء. فهو يكتب كتابة موضوعية كل همه فيها أداء المعانى العلمية فى عبارة مقبولة. بدأ كلامه وختمه بالتحدث عن الفلسفة وتاريخها دون أن ترى فى أسلوبه حشواً أو فضولاً. إلا أنه قد يصل به حبه للأيضاح أحياناً إلى استعمال بعض الألفاظ والتراكيب الدارجة بالرغم من ابتذالها أو ضعفها. ومع هذا ينبغى أن نشير الى المجهود الصادق الذى بذله فى اختيار الألفاظ العربية الملائمة لأداء الأفكار الأجنبية. وقد كلل هذا المجهود بذلك القاموس اللغوى الاصطلاحى الذى ختم به كتابه.

وفى اختصار لقد استطاع أن يقدم لنا تاريخ الفلسفة اليونانية فى قالب علمى لا بأس به. وهذه ناحية يجب أن يتنبه لها الباحثون إن كنا نريد لأنفسنا لغة علمية محترمة. وها كم قطعة من قلم المؤلف يلخص فيها الفلسفة الأفلاطونية ويبين أصولها ومميزاتها يقول: « أما أسلوبه (يعنى أفلاطون ولو قال أما مذهبه أو طريقته لكان أولى) فى الفلسفة فهو التوفيق والتنسيق: لم ير فى تعارض المذاهب سبباً للشك مثل السوفسطائيين، وإنما وجد أنها حقائق جزئية، وأن الحقيقة الكاملة تقوم بالجمع بينها وتنسيقها فى كل مؤتلف الأجزاء. وطريقة التوفيق حصر كل وجهة فى دائرة، وإخضاع المحسوس للمعقول، والحادث للضرورى، فنحن نجد عنده تغير هرقليطس، ووجود بارمنيدس، ورياضيات الفيثاغوريين وعقيدتهم فى النفس، وجواهر ديموقريطس، وعناصر أنبادوقليس، وعقل أنكساغورس فضلاً عن مذهب سقراط، وسندل على هذه الظاهرة كلما صادفناها، وثمت ظاهرة أخرى هى محاولته تحويل العقائد الأرفية آراء فلسفية، أى وضعها فى صيغة عقلية ودعمها بالدليل. فهو لم يزدر شيئاً من تراث الماضى، وأراد أن ينتفع بكل شىء، ثم طبع هذا التراث بطابعه الخاص، وزاد فيه فتوسع وتعمق إلى حد لم يسبق إليه» [2]

والأستاذ كرم هادئ كذلك فى مناقشاته وأحكامه، فهو يناقش النظريات الفلسفية فى هدوء وسكون، ويحكم على مختلف

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.

الآراء أحكاماً بعيدة فى جملتها عن الشطط والمغالاة . بيد أن هدوءه هذا قد يؤخذ عليه ، وكم كنا نوده عنيفاً نوعاً فى بعض المواقف . فان هدوءه دفعه إلى تبسيط المسائل إلى درجة ربما ضاع معها لبها ، ولم يمكّنه من استيفاء بعض المشاكل التاريخية . فلم يثر مثلاً أسئلة كهذه : هل سقراط أو ميتافزيقى ؟ وكيف تفسر الرموز (Les mythes) فى أسلوب أفلاطون ؟ وعلام يحمل التذكر (la réminisceuce) عنده ؟ ولم يفصّل القول فى مشكلة الآلهة عند أفلاطون ونظرية العقل عند أرسطو تفصيلاً مقنعاً ومرضياً ، وكأنه تناسى ما كتبه الباحثون السابقون هذه فى المسائل واكتفى بعرضها كما يرى هو دون أن يبين آراء الآخرين . وقد حال هدوء المؤلف أيضاً دونه والاسترسال فى النقد بعض الشيء . نحن لا ننكر أنه نقد طائفة من الآراء والنظريات التى عرضها فى حكمة ودقة ؛ ولكنا كنا نتمنى أن يعنى بالنقد أكثر من هذا وخاصة فى دراسة الفلسفة الأرسطية ، ويظهر أن الخلاف بيننا وبينه فى هذه النقطة راجع إلى المبدأ ووجهة النظر ؛ فانه فيما يبدو لنا ، يرى فى أرسطو الكمال والتبرؤ من كل نقص وخطأ ، وهذا رأى قد لا يقره عليه كثيرون الآن

وكيفما كانت الاعتراضات التى يصح أن توجه إلى تاريخ الفلسفة اليونانية فانه يحوى أكبر وأنفس مصدر عربى عرف حتى اليوم فى هذه الناحية ، ولم يدع مؤلفه أنه جاءنا بنظرية جديدة أو طريقة مبتكرة فى دراسة تاريخ الفلسفة ؛ وكل ما صنع أنه قرأ ودرس ومثّل فى تأن وتؤدة ، ثم استخلص من قراءته ودراسته تلك الثمرة الطيبة . وهو لم يمنّنا مطلقاً بأمان ولم يعدنا بوعود حتى نحاسبه على إنجازها ؛ بل ترك تاريخ الفلسفة يتحدث عن نفسه ، ولم يزل هذا التاريخ فى حديثه حتى انتهى إلى مرحلة نرجو أن تكون أخيرة لا آخرة . ويقيننا أن من بدأ تاريخ الفلسفة على هذا النحو وبهذا التوفيق لا بد واصل إلى نهايته

ابراهيم مدكور